المحاريب

أيقونة العمارة في المساجد

تأليف

مجموعة كتاب

الكتاب:المحاريب .. أيقونة العمارة في المساجد

الكاتب:مجموعة كتاب

الطبعة: ٢٠٢١

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)



٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة
جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www. bookapa.com **E-mail: info@bookapa.com**

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر

المحاريب .. أيقونة العمارة في المساجد/ مجموعة كتاب
– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.
١٣٣ ص، ١٨*٢١سم.
الترقيم الدولى: ٣ – ٤٣ – ٦٨٢٣ – ٩٧٧– ٩٧٨
أ – العنوان رقم الإيداع : ١٠٦٩٦ / ٢٠٢٠

المحاريب

أيقونة العمارة في المساجد





مقدمة

كانت المساجد، وستظل محور الحياة الدينية في العالم العربى والإسلامي، وقد أسس أول مسجد في الإسلام النبي مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة، وكان من البساطة والتقشف, حيث لم يتجاوز في بدايته حجم قاعة لإقامة الصلاة، ومكانا يجتمع فيه النبي بأصحابه، وعلى هذا النمط البسيط أقيمت مساجد كثيرة في مختلف البلدان، التي فتحها المسلمون بعد ذلك، لكي يتمكنوا من تحديد ومعرفة الاتجاه الصحيح للقبلة أثناء الصلاة، فقد وضع المحراب؛ ليكون وجهتهم الصحيحة نحو الكعبة المشرفة.

وقد ورد ذكر المحراب في أكثر من موضع في القرآن الكريم قال تعالى: {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} [مريم: ١١].

وقال جل شأنه : {فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ} [آل عمران: ٣٩]. أي: أن المحراب للصلاة ومناجاة الله وذكره سبحانه وتعالى.

وكان بناء المحاريب خاصا بشريعة بني إسرائيل، والملاحظ في القرآن الكريم أن المحاريب ارتبطت برسل بني إسرائيل داود وسليمان وزكريا" عليهما السلام " وكذلك المكفولة منه مريم" عليها السلام "

وفي الإسلام أصبح المحراب رمزاً للصلاة، وموقعا جوهريا يذكر الناس بعبادة الله عز وجل، وقد تبارى الناس في تفخيمه، والتركيز على شكله، حتى صار تحفة فنية معمارية تنطق بالإبداع، وتعبر في الوقت نفسه عن الروح المبدعة، التي تحلى بها المعماري والفنان المسلم, وخاصة عندما أضفي عليها الزخارف المكتوبة.. تلك اللوحة الفنية المعمارية الإسلامية تعد عنصرا جماليا , إذ أصبح أحد الفنون الداخلة في عمارة المساجد، كجزء أصيل خضع خلال العصور الإسلامية لكثير من التغيّرات والتطورات .

أما عن شكله, فهو عبارة عن تجويف موجود في حائط القبلة، وقد قيل أيضا: إنه " الغرفة، الموضع العالي، صدر البيت، أرفع مكان في المسجد، أشرف الأماكن، أشرف المجالس، وقد أطلق عليه أيضا القبلة.

والمحراب لا يتسع إلا لشخص واحد هو الإمام، يؤم فيه

المصلين للصلاة في مواعيدها اليومية وكذلك صلاة الجمعة والأعياد والمواسم.

أما في الأحوال العادية، فإن الإمام غالبا يقف بعيدا عنه، مما يعطي انطباعا بأن عمل المحراب لا يزيد على كونه علامة بارزة لتحديد اتجاه القبلة، ويعتبر هذا العمل الرئيس للمحراب, وضعه السلف لتحديد مكان القبله داخل المسجد كما يساعد على تجميع صوت الإمام وتكبيره، وإيصاله للمصلين الذين يوليهم ظهره أثناء الصلاة، لا سيما قبل اختراع الميكرفون.

وتذكر المصادر التاريخية أن أول محراب أنشئ في عهد النبي ﷺ، حيث لم يكن المحراب مجوفا، بل مسطحا تسطح الجدار نفسه، ولكنه كان محددا أو معلما، وظل في مكانه بعد السنة السابعة بعد الهجرة، وكان جراء ذلك أنه صار أقرب إلى الجدار الشرقي منه إلى الجدار الغربي؛ ذلك لأن توسعة المسجد نحو الغرب كانت أطول من توسعته نحو الشرق.

يذكر أن المؤرخ والعالم الأثري د. أحمد فكري، أن أول محراب أنشئ في الإسلام، هو محراب عقبة بن نافع في مدينة القيروان، ويقول الكاتب المذكور: "وقد أجمع المؤرخون أنه في سنة خمسين

للهجرة ٥٠، خط عقبة بن نافع (فاتح المغرب) مسجد القيروان، وأبان مكان القبلة منه، وأقام محرابه فيه. وأن هذا المحراب ظل طوال السنين موضع إجلال القوم وتقديسهم فلم يمسه أحد منهم بسوء، حتى أنه لما ارتد زيادةُ الله (ابن الأغلب) هدمه وألح في ذلك، لم يجبه أحد إليه وحيل بينه وبين هدمه لما كان قد وضعه عقبة بن نافع ومن معه.

أما في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، نقل جدار القبلة نحو الجنوب بمقدار خمسة أمتار تقريبا؛ ومن ثَمَّ نقل مكان المحراب نحو الجدار الجديد، ولكن على نفس المحور، وحدث الشيء نفسه في خلافة عثمان بن عفان ﷺ، حيث نقل جدار القبلة إلى الجنوب خمسة أمتار أخرى، وبذلك صار في موضعه الحالي.

أما عن انتشار المحاريب المجوفة في العمارة الإسلامية، فقد بدأت منذ العصر الأموي, ومن أهم أمثلتها قبة الصخرة، والتي أثبتت الدراسات الأثرية الحديثة أن تاريخه لاحق على العصر الأموي، كما ظهرت المحاريب المجوفة في القصور الأموية ومن أمثلتها قصور الحلابات، والطوبة والمشتى، وفي العصر العباسي انتشرت المحاريب.

كما ينسب إلى ما قبل تجديد المسجد النبوي في عهد الوليد بن عبد الملك بنحو٥٣ عاماً، بناء المحراب المجوف في عمارة مسلمة بن مخلد في جامع عمرو بن العاص بفسطاط مصر عام ٥٣هـ - ٦٧٣م، أما من الناحية الأثرية، فإن أقدم محراب مجوف يوجد في الضلع الجنوبي من المثمن الخارجي لقبة الصخرة بالقدس الشريف، ويعود عهد تشييده إلى خلافة عبد الملك بن مروان ٧٢هـ - ٦٩١م، وتشير بقايا العمائر الإسلامية في القرنين الأول والثاني للهجرة إلى أن المسلمين استعملوا المحاريب المجوفة ذات المسقط المتعامد الأضلاع وخاصة في شرق العالم الإسلامي خلال العصر العباسي، كما في محراب مسجد قصر الأخيضر ومحراب أقدم مساجد أرض فارس «طريق خانه»، إلا أن النموذج الغالب كان للمحراب المجوف ذي المسقط النصف دائري وكان في الشام.

وإلى جانب المحاريب المجوفة ظهرت محاريب أخرى مسطحة، وعادة ما وضعت في دعامات تجاه القبلة، وقد أثارت ظاهرة تعدد المحاريب كعنصر في العمارة الإسلامية تساؤلات حول الغرض منها، فمن قائل أنها كانت ضرورة بسبب تعداد المذاهب ليصلي اتباع كل مذهب خلف إمام لهم، بينما يرى آخرون استبعاد مثل هذا القول مع ترجيح أن المحاريب المسطحة قصد بها تعيين اتجاه

القبلة للمصلين في الصفوف الخلفية، فضلا عن إتاحة الفرصة لذوي الشأن أن يسجلوا اسمائهم في عمارة المساجد التى سبق الأولون الى تشييدها. ومن المعروف تاريخيا أن أقدم أمثلة المحاريب المسطحة التي ورد ذكرها في كتب المؤرخين هى تلك التي كانت بالجامع الأموى بدمشق، أما أشهر الأمثلة الباقية منها فهى خمسة من المحاريب الجصية بدعامات جامع أحمد بن طولون وهى تعود إى العصرين الفاطمواالمملوكى.

وقد عرفت العمارة الإسلامية نوعا ثالثا من المحاريب يعرف باسم «العنزة» أو المحاريب الخشبية المتنقلة، حيث كان يستخدم بعضها لإقامة الصلاة في قصور الخلفاء والأمراء، أو يُهدى لمشاهد آل البيت، مثل محراب السيدة عائشة – من العصر الفاطمي – المحفوظ في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة، وقد انتشرت في المغرب الإسلامي، كما عرفت في منطقة الموصل بالعراق، وما وقع شمالها من أرض الأكراد، وكذلك في مصر الفاطمية، مثل المحراب الخشبي المنسوب إلى الخليفة الحاكم بأمر الله، ومحرابي السيدة نفيسة والسيدة رقية المحفوظين بمتحف الفن الإسلامي.

أما المواد التي غشيت بها تجاويف المحاريب فأقدمها الجص والرخام، والنوع الأول يتمثل في أقدم محراب في مصر وهو محراب

جامع بن طولون، ومن أشهر المحاريب الرخامية ذلك الذي عُثر عليه في جامع الخاصكي ببغداد، ويعتقد أنه كان في الأصل لجامع المنصور الذي بناه لقصره بوسط مدينة بغداد وهو من قطعة واحدة من الرخام، كما تُعتبر المحاريب التي شيدها المماليك في مصر والشام من أبدع المحاريب الرخامية التي عرفها فن العمارة والزخرفة، ومنها محراب مدفن السلطان المنصور قلاوون، ومحراب إيوان القبلة بمدرسة السلطان حسن.

أما عن المادة التي صنعت منها المحاريب المسطحة، فكانت من الجص على حائط القبلة، ومن أمثلة المحاريب المسطحة الباقية إلى اليوم محراب قبة الصخرة المسطح في المغارة تحت الأرض، كما يوجد في مسجد ابن طولون في القاهرة خمسة من المحاريب الجصية المسطحة، التي يعود بعضها إلى العصر الفاطمي، والبعض الآخر صنع في العصر المملوكي.

ويعتبر المحراب أحد أبرز وأهم العناصر المعمارية الإسلامية ومن أهم سمات المسجد الأساسية في مختلف الطرازات والأحجام، منذ الأيام الأولى للدولة العربية الإسلامية وحتى يومنا هذا، وقد وجد المحراب في كل من المساجد والمدارس والتكايا والزوايا والمشاهد.

وقد أعطى الفنان المسلم أولوية اهتمام لهذا العنصر سواء في التصميم أو الزخرفة والزينة، واستخدام مواد البناء التي تعطي الاحساس بالفخامة مثل الرخام الملون والخشب قديمًا، وبمادة "جي آر سي" حديثًا لما تتميز به من قوة تحمل عالية ومقاومة للعوامل الجوية الشديدة، كما أنها مادة متينة خفيفة الوزن يمكن قولبتها باشكال وتطبيقات مختلفة، وأيضا لا تتفاعل مع العوامل المحيطة, إلا أنها أيضا مقاومة للتأكل والرطوبة وبذلك فهي مناسبة تماما في الاماكن الساحلية، وتعزل الحرارة والصوت الخارجي ولها العديد من المميزات الأخرى.

وقد تطورت المحاريب وأصبح الاهتمام بها وزخرفتها من جماليات الفن المعماري العربي الاسلامي في العصر الحديث .

ويضم هذا الكتاب بين دفتيه مجموعة مختارة من أبحاث تناولت المحاريب في العمارة الإسلامية من زوايا مختلفة, لنخبة من الباحثين والمعماريين تحكي روعة التصميم وتفرد زخرفته لواحد من المفردات الحيوية للعمارة الإسلامية.

الناشر

"المحراب"بين البيان والبنيان

د.عليثويني*
معمار وباحث عراقي مقيم في السويد

- مقدمة
- المحراب التأصيلي "الإيتيمولوجي"
- المحراب المعماري
- محاريب المسجد النبوي الشريف
- محاريب لها تأريخ

المحراب (Niche-Altar)أو المذبح (Sacred stone) Altar عنصر معماري على شكل حنية جدارية أو تجويف او مشكاةما يقابل المذبح في المعابد الوثنية وفي الكنائسالمسيحية.وكان في المعابد يعني مصطبة، أو منصة، مرتفعة، من الحجر، أو الطين، أو الخشب، تنحر عليها الأضاحي أو تقرب القرابين للآلهة. وهو المكان الذي يتصل فيه العابد بمن يعبد، فتزود منه بالقوة، وتتخذ بعض الشعوب البدائية مذابح لها في مساكنها، فيكون المذبح في هذه الحالة مجرد مكان دفن الأسلاف أو المكان الذي توضع عليه الفتشاتوالتماثيل والآنية الفخارية. ومجموع الكلمة "محاريب"، وهي

في اللغة بحسب مارصده الشيخ طه الولي وصل حتى ١٧ معنى بمفاهيم لغوية ودينية واصطلاحية. وهي:

١- صدر البيت او افضل مكان فيه.

٢- الغرفة المرتفعة التي يرقى اليها بسلم.

٣- المكان المخصص للملك في القصر او الذي ينفرد الملك فيه من دون بقية رعيته.

٤- القصر، او قصر الملك بالذات.

٥- عنق الدابة.

٦- غيل الاسد اي عرينه.

٧- مجلس القوم عند اجتماعهم للتداول في أمورهم.

٨- التباعد والتباغض.

٩- الشجاع، صاحب الحرب.

١٠- الحنية في الكنيسة حيث توضع التماثيل المقدسة.

١١- كنيس اليهود.

١٢- المكان الذي يصلى فيه.

١٣- المكان الذي يصلي الامام فيه، ولا يأمن ان يلحن او يخطيء، فهو خائف كأنه في غيل الاسد.

١٤- القبلة في مسجد المسلمين او الامام الذي يصلي في المحراب.

١٥- المكان المخصص للامام في مسجد المسلمين.

١٦- سيد المجالس في الأبنية وكذلك في المساجد.

١٧- الامام (العقل) عند فرقة القرامطة وكذلك عند البهائيين بمعنى الامام([1]).

ومن محراب اخذ المعنى الشرعي وهو: مكان وقوف الامام للصلاة في المسجد، حيث وردت الكلمة في القرآن الكريم بصيغة المفرد والجمع كما فيالذكر الحكيم: (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ) ([2]) .وعني خلال تلك الآيات البينات أربعة أشياء هي: أما صدر البناء، أو أوجه مكان فيه،أو الغرفة التي في مقدمة المعبد بالنسبة لليهود والنصارى،أو المكان الذي يخصص للملك فقط، أو البناء الملكي و إقامته. وقد وردت الكلمة في أشعار العرب في الجاهلية بمقاصد

([1])طه الولي: المساجد في الاسلام–دار العلم للملايين–بيروت ١٩٨٨.

([2])سورة سبأ– الآية ١٣.

دنيوية ليس لها صلة بالروحانيات، وقد أكد ذلك الإنكليزي كرزويل* وقال الألماني نولدكة إنها(بناء الملك أو الأمير) وقال النمساوي رودوكوناكيس (هو الجزء الذي في قصر الملك يخصص لوضع العرش فيه كما في قصير عمرة) ([1]). وذكر مُحَّد زكي: (هو قصر او جزء من القصر أو مكان النساء في البيت أو طاقة فيها تمثال)([2]). وذهب البعض أنه المكان الذي كانت تثبت فيه حربة في الأرض لتنعت القبلة كما ورد في مقالة الأستاذ حسين مؤنس وهذا التفسير غير دقيق،ولم يذكره في كتابه (المساجد)([3]).

المحراب التأصيلي"الإيتيمولوجي"

مازال اللغط قائما بصدد أصل المفردة لعدم ترابطها المفاهيمي مع المصدر(حرب) .ويذهب بعض المستشرقين بإنها وردت من اللغات الجزيرية الجنوبية(يسموها في الغرب الساميه) وبالذات الحبشية، التي يحاكي معنى كنيسة فيها بصيغة (مَكوراب**Mekurab**). ويقول باحث العمارة بريكز**Bribbs** وكما ألفناه في الإنحيازالصريحفي المركزية الغربية :(أن مثل هذا التجويف

---

[1] د.عليثويني– معجم عمارة الشعوب الإسلامية– بغداد –دار الحكمة ٢٠٠٥.

[2] زكيمحمد حسن– الفن الإسلامي في مصر–دار الرائد العربي–بيروت–١٩٨١

[3] مجلة العربي الكويتية العدد ٢٢٥ –آب \أغسطس ١٩٧٧.

وجد في جدران الرومان وفي القصور الساسانية وتجاويف المعابد لوضع التماثيل فيها أو وضع صور القديسين،وأن التجويف في بيت الصلاة أخذ شكلا بدائيا في العمارة الدينية الإسلامية، وأن المسلمين أتخذوه لبساطته،ولكنهم لم يفكروا باقتباسه من الكنائس النصرانية أو من المعابد الهندية)، ويبدوا أنه تناسى أن النصرانية وصلت للغرب من مصدر شرقي وأن الممارسات البنائية لصروح الروح في الشرق سبقت ما بالغرب بليس اقل من ٣٠٠٠ سنه،وهي حقبة طويلة، رغم أن الفرنسي (سوفاجيه) يعترف بأن التشابه هذا ليس دليلا على الاقتباس ألبته.

وجدير بالذكر ان من كان يسميه (المذبح)،ورد في حديث نبوي شريف بهذه الصيغة،وتورد بعض ما نقل من الحديث بانه لم يكن محبب لدى رسول الله كما في نص:(اتقوا هذه المذابح)وقدرواه الطبراني والبيهقي، وربما يكون ضمن مانقل شطحا وبعيدا عن الحقيقة .ونذهب الى أنالكلمة(محراب) ترد من اللغات الشرقية ولاسيما الآرامية(النبطية) بصيغة (الطارaltar)،ومن المعلوم أن مبدأ أو وظيفة المذبح المعمارية المخصصة لنحر القرابين كان قد مورس منذ العمارة السومرية بحدود بأواسط الألف الرابعة قبل الميلاد، ووقع في العادة في نهاية المعبد او تربع على الطبقة

الاعلى في الزقورة عند منصة الآلهة.بيد ان للتسمية(محراب) دلالات عميقة وصيغ معجمية مركبة وردت من نفس المصدر القديم، ولاسيما من فروع اللغتين الشرقيتين الأكدية والكنعانية. حيث يذهببعضالباحثين ان اصل مفردة مكة يعود الى اللغة الحبشيةفيصورة مفردة (مكورابا) بمعنى معبد او هيكل وهنا جدير ان نشير الى ان (مكة) و(بكة) هما امران مترادفات يدلان على نفس الكلمة لما سجت عليه مجموعة تلك اللغات من الإبدال بين الميم والباء مثل (رام) و(رب)،الرباءوالرماء (الزيادة)، اربد وارمد وزبنا السريانية وزمن العربية،وكذاجمهرة واسعة من المفردات ليس محل لحصرها هنا .وجدير أن نشير الى ان أسم مكة ورد عند المؤرخ بطليموس في القرن الثاني الميلادي بصيغة(ماكوربا)،وهو وارد من السبئي(ماكورابا) بمعنى المقدس أو حرم([١]).

وبغرض البحث عن سامية أو جزيزية مفردة (مكورابا)التي هي أصل محراب، حري ان نعرف ان اسم الحبشةذاتهيعود الى قبيلة (حبشت) السامية المهاجرة التي تعني خليط البشر، حيث ان الحبشة تتكون من أجناسا "ساميين" وكوشيين وأفارقة "حاميين"، وان عدد لغاتها من هذه الأصول يبلغ قرابة الأربعينلغة، الاأن

---

[١]عبد القدوس الانصاري– بين التاريخ و الآثار– بيروت ١٩٦٩– ص:٢٠.

اللغات السامية التي حملتها العشائر العربية الجنوبية،نسخت العديدمناللغات الأصلية المعزولة،وأوسع لغتينمتداولتينفي الحبشة وهما الأمهرية والجعزية من اصل سامي جزيريّ .

وقد رأى الباحث العراقي عبدالحق فاضل([١]) ان إلهاً بابليا اسمه (بكه) والكاف هنا تشبه صوت الجيم الأكديا والمصري، وهو الأصل الذي خرجت عنه المفردة .و هذا يقترب كثيرا منالحقيقة، رغم ان عبد الحق فاضل غفل وبشكل كامل عن الأبدال في "الساميات"،الذييجعلنا نقف قريبين جدا من فهم اصل الجذر ونبتعد عن الوعورة التي تقود اليهامحاولة التأصيل .فهذاالألهة البابلي كان معروفا منذ مايزيد على الألفي عام قبل الميلاد، ويمكن تلمس آثاره في مفردة بغداد، التي لم يعد بالأمكانتأصيلهاواشتقاقها من المعجمية الفارسية بسبب ان حجرة مبنية للحدود اكتشفت في موقع بغدادالحالية كان يحمل اسمها الصريح، وتعود الى ايام الملك البابلي حمورابي صاحبالشريعةالمعروفة،وهو الملكالسادسمن ملوك سلالة بابل الأولى، ودام حكمه من ١٧٩٢ ـ ١٧٥٠ ق.م. وكانت الحجرة تشير الى ان هذا الموقع تحفظ في اسلحة واعتدة

---

[١]عالم لغوي وشاعر وناقد أدبي ودبلماسي عراقي(١٩١١-١٩٩٢)، أشتهر بكتاباته اللسانية وأشهرها كتابه(مغامرات لغويه) اصدره ١٩٥٩.

الجيوش البابلية.

وفي السياق نجد الأمر ينطبق على مفردة (بعلبك) المركبة من (بعل) و(بكه أو باك) وهي سيان وتعني الرب بعل المبارك والمحبوب والرفيع والعالي والعظيم والخيّر، وحتى المقدس،لذاأختيرت كلمة (باكستان(باك–ستان) اي بلاد الخير والبركة، بعدما أنتقلت المفردة الى الفارسية ثم الى الأردو منذ ثلاثة قرون كآخر فروع السنسكريتية. ومازال العراقيون يطلقون على الصحابي سلمان الفارسي اسم (سلمان–باك) أي المبارك أو الخيّر. ويذهب بعض الباحثين الإنكليز بأن كلمة (Mcماك) التي يستعملها الأسكتلنديون قبل أسمائهم مثل (ماك دونالد، وماك كي، وماك نتوش..الخ) هي تعني السيد المبارك التي تسبق الاسم، ولاسيما ان ثمة نظريات تذهب الى ان اللغة الأسكتلندية مترعة بالبابلية الأولى، حتى ان أسم أسكتلندا القديم هو (كاليدونيا) الذي أوحى بأسم (كالدانيا) او بلاد الكلدان في بابل، وفي ذلك شجون لامحل لسردها هنا، ونحن نبحث عن أصل كلمة محراب.

ففي هذا التشعب البحثيلم يتمكن عبد الحق فاضل من تعريف الأله البابلي (ماك–باك) ولا كيف انتقل من البابلية الى جنوبي الهلال الخصيب.وهنا لانستغرب الصلة المتجذرة بين بابل

والحجاز منذ رحيل سيدنا إبراهيم (ع) والذي ورد في التواريخ الدينية أكثر من الحفرية،و لها دلالات عميقه في التأريخ والروح والثقافة المشتركة.وكذا الأمر ينطبق على قصة آخر ملوك بابل (نبونيد) الذي تصوف واعتزل الدنيا معتكفا في واحة (تيماء) شمال الحجاز) للتعمق العرفاني (الغنوصي). حتى أن بابل سقطت عام ٥٣٩ ق.م،وهو قابع هناك في محرابه، وتسنى له نقل الكثير من الفكر الديني لأقليم الحجاز الذي أثمر بعد الف عام.

وحري بان الألهة (بكه) تواتر تداولته حتى الدولة البابلية في عصرها المتأخر (الكلدانية)،في صورة بل التي قلب الفرس لامه غينا، كما هو معروف في ان اللسانالفارسييقلب اللام السريانية غينا، حتى عدّ عالم اللغات الشرقية "الساميات" لسترانج ان الأصل فيبغدادهوبعلداد وداد مفردة كلدانية مازالت متداولة في العامية العراقية وتعني الحبيب،ويكونمعنى المفردة (بعل حبيبي) وبعل هو تموز أو حدد، آلهة المطر في ثقافات الشرق. و نذهب الى أن بغداد متكونه من (باك) المبارك و(داد) اي الرب (داد).

ومنهنانجد ان (مكورابي) المفردة الحبشية التي يُعتقد انها اصل كلمة مكة،هيذات اصل شرقي جزيري "سامي" يعود الى الألهة البابلي (بكه) بأبدال الباء ميما كما رأينا، وهي بالنتيجة مصدر

كلمة (محراب) اي ان مكة وبغداد وبعلبك ومحراب وحتى باكستان لديها مشترك(باك) البابلي، الذي مكث يشيع في تلك الكلمات والواضع أنه رمز للمقدس، بالرغم من تراكب الكلمة وتقادم الأزمة وتبدل الألسنة، لكنه يقبع في الثابت الثقافي الذي نقره بأن ثمة سمات ورموز تحتفظ بها كثير من ثقافات الدنيا من أرثها المتراكم.

وفي السياق نجد ان أسم الحاكم اليماني يضاف له لقب (مكرب) في بداية حكم الممالك اليمنية، بما يحمله من إشارات دينية مقدسة، وهو يشبه إلى حد كبير وظيفة (مزود) عند المعينيين .بيد أن الدكتور جواد علي في كتابته لتأريخ العرب، ذكر بأن لفظة (مكرب) إنما تعني (مقرب) وأن (المقرب) هو المقِّرب بين الإلهة والناس والواسطة بينهما والشفيع لهما، أو حتى قرب (إمرأة) أو ضاجعها،أو أحضر جنداً[١]. وذكر (ريكمانز) أن لفظة (كرب) تعني الموحد [٢]، وفي المعجم السبئي جاءت لفظة (كرب) بمعنى نفذ،وإلتزم، وتقيد (بواجب)، وكذلك توجيهات أو أوامر، ويأتي إسم (مكرب) لقباً لرئيس حلف قبلي في الفترة

---

[١] د.جواد علي– مقومات الدولة العربية–ص ٤٠ .

[٢] نقلاً عن : عدنان ترسيسي، اليمن وحضارة العرب، (بيروت : مكتبة الحياة، د.ت)، ص٢٢ .

المتقدمة، وفي عهد التوحيد إسماً بمعنى معبد وبيعة، ودار، ومحفل [1].أما عن كيفية ظهور حكم الـ (مكاربة) فلا توجد نصوص توضح ذلك، وتغير بوقت متأخر جداً إلى (ملك) [2].وهذا يعني ان مكوراب تعني (ماك– المقرب أو قربى لماك) او حتى (ماك– قربان) أي تضحية لماك،وهي اقرب الى صفة المذبح الذي اتصف بها المحراب بالسمة المعمارية واللسانية.

المحراب المعماري

ثمة جدلية تتعلق ببدايات العنصر المعماري، وهل سبق الرمز بها الوظيفة مثلا، وهل نشأت من نفع أم من فن وزخرف، وهل يمكن أن يكون قد أنتقل بظاهرة (الليثوروجيا) ضمن الإقتباسات بين الأصقاع الإسلامية، وهل وله من سند صريح ومبرر من عبادات وثنية أو توحيدية سالفة، تسنى للإسلام أن يوظفها ويحتويها حينما لم تتناقض مع مقاصدة المعمارية، كما حدث مع منارة الملوية لسامراء التي نذهب أنها مقتبسة من برج بابل الذي درس ولم يبقى، لكن معمار المأذنة (دليل بن يعقوب النصراني)

---

[1] Beeston and Other ,Sabaic Dictionary ,publiccation of University of Sanaa YAR (Louvain :1982),P.78.

[2] نقلاً عن بحث للدكتور جواد مطر الموسوي : الثالوث الإلهي في الميثولوجيا الإلهية القديمة– منشور–جامعة واسط.

وائم الوظيفة الجديدة مع شكل سالف يقع ضمن الثابت الثقافي، لا بل أن البحوث الحفرية أثبتت أن هذا الشكل كان له دلالات رمزية للعالم العلوي لدى البابليين كما ذهب الألماني (شفين تستر) إعتمادا على نقوش دارسة.

وثمة أخبار عن إدخال محراب المدينة المجوف (المقعر)، ضمن إبداعات ومبادرات من معماريين نصارى جاءوا من اصقاع الإسلام الشمالية(العراق وسوريا ومصر) وعملوا في إعادة بناء المسجد . وتنقل أخبار بعض المؤرخين أن الأمر لم يكن مستساغ في البداية لدى بعض المسلمين كونه تقليد صريح للنصرانية التي يروم الإسلام النأي عن إقتفاءها .ومكث السجال بهذا الصدد حتى القرن الرابع عشر الميلادي،لا بل أثر في أهمية هذا العنصر، الذي لم يضطلع بأهمية كما المنبر مثلا ضمن هذا السياق المفاهيمي، رغم أن ثمة تطور معماري وفني حدث عليه هنا أو هناك.

وثمة آراء تبناها منظرونللفنون والعمارة ومستشرقون غربيون بما يتعلق بهذا العنصر منهم الفرنسي جان سوفاجيه

(J.Sauvaget)([1]). ضمن سياق هذا الجدل بين النفعية الوظيفية والشكلية الفنية. وذهب إلى أنهالانفعيته،حتى لو نعت القبلة وظيفيا، إلا أن هذا لم يكرس له وظيفة بعينها ولاسيما في البدايات الأولى لتجسيدهويستدل على ذلك بأن محراب المسجد الأموي حمل في طياته تفريغاتفنيةوزينبعناية إستثنائيةوأستعملت في إنجازة خامات ثمينة. بيد أن الفرنسي دومينيك كليفينو (Clevenot) الأستاذ السوربوني،خالفه الرأي، وحسبه أن من غير الممكن وضع دور المحراب موضع السؤال من دون النظر الى كونه عنصر وظيفي حينما شكل دالة وعلامة دينية تحمل معنى([2]). وهذا ينسجم مع توجهاته في تداخل الفضاء الهندسي مع الهاجس الديني (أي الدين كمهندس للفضاءالمعماري)، وأن الديني يسبق الدنيوي ضمن سياق التصميم. و يؤكد أن القصور الأموية سبقت بناء مسجد المدينة، وأن المباني السياسية والدينية تتشارك في التصور نفسه للحيز العقائدي والسلطوي.

ويقدم الباحث اليونانيالفرانكوفوني الكسندر بابادوبولو تفسيراً آخر، رافضاً طروحاتسوفاجيه، ومسجلاً أن محراب المدينة

---

[1] جاء ذلك في سياق بحثه المعنون (المسجد الأموي في المدينة: دراسة حول الأصول الهندسية للمسجد...)(باريس، ١٩٥٧).

[2] جاء ذلك في دراستهعنوانها (جمالية الستر: مقاربة للفن العربي الإسلامي) (باريس، ١٩٩٤).

كان يقع أصلا وسط حائط القبلة الأولي لمنزل النبيالكريم،وأن وجود المحراب، كبح التعامل مع المجسدات الفنية(التماثيل) ولاسيما للنبي في كنفه فبقى يمثل قدسية حتى لو غاب التمثيل، وهذا كلام غير دقيق وعشوائي وساذج، حيث كانت قد رفضت فنون النحت كونها أوحت بالأصنام المعبودة، وبذلك تطور الفن التجريدي وغلب التجسيد ودمغه، ولم يكن للنبي مُحَمَّد (ﷺ)اي تمثال يصوره.

وهذا يوصلنا إلى البحث في شكل المحراب الذي عادة ما يكون نصف اسطواني او تجويف جداري يعلو رأسه نصف كرة تسمى(الطاسة) أو (الصدفة) حسب طبيعة الزخرفة، وحسبنا أن التدوير في الأشكال وجد في عمارة الآجر قبل الحجر لسهولة التجسيد، ولم يقتبسه المسلمون من بيزنطة كما يدعي كليفينو الذي أدعى أن إحاطة الشخصيات بطار مقوس سواء نية او عقد هو من باب تبجيل الشخصيات، إذا نحينا جانبا أن الفن البيزنطي نفسه مقتبس بكل حيثياته من مصادر العمارات الشرقية سواء شامية أو عراقية أو مصرية، وذلك لكي يبعد عن نفسه تبعية ملتبسة مع روما بعد عملية طلاق "معماري" رفضوا من خلاله تقليد العمارة الرومانية، فكان الشرق منهلا لهم.

وبذلك فالمحراب قبلة المسجد المتوجه نحو الكعبة،وفي الأضرحة مقام الأمام،وفنياالعنصر التزييني أو الزخرفي، ويقام هذا الأخير عادة حول رقبات قباب الترب على شكلين أما غائر أملس أو مسطح فوقه طاسة ملساء أو غرفة كاملة كما في العمارة المغربية الأندلسية.وثمة وظيفة أخرى للمحراب هو دور التضخيم الصوتي قبل أزمنة مكبرات الصوت، حيث وجدناه هكذا في مسجد قرطبة الجامع، حيث يضخم الصوت الصادر من الإمام أو المبلغ، ويعكسه ليصل إلى عمق المسجد ليسمعه أبعد المصلين.ففيالمحراب تجاويف تعمل كمكبرات صوت من خلالها يصل صوت الامام الى المصلين أثناء الخطبة والصلاة .والى جانب المحراب العقود المتراكبة يمتطي بعضها اكتاف بعض من طابقين العلوي العقد على شكل حدوة فرس منفوخ والاسفل خماسي الفصوص يربط بين الطابقين بواسة اذرع يسميها الادريسي نحور ينبت من رؤوس العقد السفلي المفصص يمينا ويسارا وتعمل تلك العقود على توزيع الضغط الذي تمارسة القباب من خلال النحور([1]).

أن أول محراب عمل في الإسلام كان حنية في مسجد المدينة،

---

[1]عبد العزيز سالم، العمارة الاسلامية في الاندلس، عالم الفكر، العدد الاول، مجلد ٨، الكويت، ١٩٧٧م، ص٣٦٤.

ويذهب اندرو بيترسونإلى أن ثمة لوحة في الكهف الموجود تحت الصخرة في قبة الصخرة محفور فيها محراب حينما بني عام ٦٩٢ ميلادية، ويظن أنه اقدم محراب في العالم الاسلامي([1]) . ويخلص الشيخ طه الولي من سرد مطول حول اوائل المحاريب التي عرفها المسلمون الى أن هذه المحاريب هي التالية:

١- محراب عمر بن الخطاب في المسجد الاقصى، وان كانت هناك شكوك حول وجوده.

٢- محراب المسجد الجامع بالكوفة، وقيل انه يرجع الى أيام عثمان بن عفان ﷺ.

٣- محراب علي بن أبي طالب في المسجد الجامع بالكوفة، وقد ذكره ابن جبير في رحلته.

٤- محراب المسجد الاموي في دمشق، وقد قيل انه يرجع الى ايام معاوية بن أبي سفيان، وهو يعرف ايضا باسم محراب الصحابة، لما قيل من ان الصحابة صلوا فيه عندما دخلوا دمشق يوم فتحها خالد بن الوليد وأبو عبيدة عامر بن الجراح.

---

[1].Petersen Andrew: Dictionary of Islamic architecture. London; New York: Routledge, 1996

٥- محراب المسجد الجامع الذي بناه عقبة بن نافع في القيروان، وقد اختلفت الآراء بشأن هذا المحراب، على أن التقاليد الشفهية المتوارثة تقول بوجوده منذ ذلك العهد حتى اليوم، لان الحكام الذين تناولوا المسجد بالهدم او التجديد أو الترميم حرصوا عليه لمكانته عند الناس بسبب نسبته الى عقبة بن نافع، فاتح المغرب العربي.

٦- محراب عمرو بن العاص بالجامع الذي يحمل اسمه في الفسطاط، حيث قيل ان عمرو بن العاص كان يصلي فيه كمكان يؤشر للقبلة بمسجد. وقال المقريزي في خططه ان قرة بن شريك، والي مصر المتوفي عام ٩٦ هجرية، عندما هدم هذا المسجد وأعاد بناءه من جديد جعل فيه محراباً مجوفاً في سمت محراب المسجد القديم الذي بناه عمرو، وذكر المقريزي ايضا انه كانت هناك محاريب اخرى في المساجد التي اتخذها الصحابة الذين شاركوا في فتح مصر، ومنها محاريب مساجد الجيزة وبلبيس والاسكندرية وقوص وأسوان([١]).

وتذكر بعض كتب التراث أن الخليفة عمر بن عبد العزيز أستحدث محراب عند ولايته في المدينة إبان عهد الوليد بن

---

[١] طه الولي: المصدر السابق.

عبدالملك الأموي. ثم انتقل كظاهرة معمارية الى مساجد الكوفة، وواسط، والفسطاط عام(٩٤هـ –٧١٢م)، ولم يتم بحث الأصول الأولى لهذا العنصر في تلك المصادر.

وقد عملت المحاريب الأولى في عهود الإسلام من الحجر ثم الآجر، وبعدها صنع من الخشب،ولاسيما في العهد الفاطمي، وما تبعها.ومن الفترة الأولى نجد محراب مسجد بغداد المدورة التي أنشأها المنصور عام ١٤٥هـ– ٧٦٢م، وقد أعيد توظيفه في جامع الخاصكي خلال الحقبة العثمانية بعد خراب مسجد المدينة المدورة(دار السلام)،وهو متكون من قطعة رخامية بيضاء واحدة نقشت بدقة، وتدل خطوطها الزخرفية أنها عملت في الشام ([١]).و يعد ذلك من المحاريب التي رام المحتل البريطاني للعراق في ثلاثينات القرن العشرين أن يضع يده عليه وينقله لمتاحف لندن، ولم تنقذه الا يقظة الرأي العام العراقي، والحملة القلمية التي شنها الامير شكيب ارسلان. ويعد هذا المحراب من المحاريب الاثرية التي يسود الاجماع على انها من عيون الفن الاسلامي، فهو مؤلف من كتلة ضخمة من الرخام اتقن ابداعها. وكان بعض المستشرقين قد حاول شراء هذا المحراب في حقبة الإحتلال العثماني، وفي عام

---

[١] يقبع اليوم هذا المحراب في المتحف العراقي–القاعة الإسلامية.

١٩٢٥ انتزع المحراب من موضعه في الجامع، وتعددت التقارير التي تتحدث عن التوجه الى ايداعه في احد المتاحف في لندن، بينما تعللت وزارة الاوقاف العراقية بأنها انما انتزعته حفاظاً عليه من اللصوص! .ومن الغريب ان بعض المستشرقين هم الذين بادروا بعد ذلك بحوالي العام فكتبوا الى الامير شكيب ارسلان محذرين من احتمال قيام السلطات البريطانية بسرقة المحراب، فبادر الامير الى كتابة مقالة نشرتها صحيفة «الشورى» بمصر، فحالت دون سرقته.

ويقول المستشرق الالماني ارنست كوهنل في كتابه «الفن الاسلامي» في معرض وصفه لهذا المحراب: «... وفي جامع الخاصكي ببغداد محراب يظن ان الخليفة العباسي المنصور نقله من سوريا الى الجامع البسيط الذي بناه في اول عهده. وقد صنع من كتلة رخام واحدة، على هيئة محارة جميلة فوق عمودين بحلزونات دائرة على البدن، يتوسطها شريط زخرفي، اشبه بما في واجهة قصر المشتى المعاصر له».

محاريب المسجد النبوي الشريف

وقد أتسع تداولالمحراب في مسجد المدينة منذ تأسيسه الأول، و اليوم ثمة ستة محاريب معروفة فيه، و تعرف باسمائها:

الأول: المحراب النبوي، ويقع في الروضة الشريفة، شرقه القبر الشريف، وغربه المنبر، تزينه الآيات القرآنية، وقطع ملونة من الرخام، في جانبيه عمودان من الرخام الأحمر، مكتوب في جانبه الغربي :(هذا مصلى رسول الله ﷺ). احدثه عمر بن عبدالعزيز في المكان الذي اتخذه ﷺ مصلى له بعد أن حولت القبلة الى الكعبة المشرفة. وكان ﷺ قد صلى بضعة عشر يوماً إلى اسطوانة عائشة رضي الله عنها، ثم تحول إلى هذا المكان أو قريباً منه، فموقفه ﷺ في الطرف الغربي من هذا المحراب، بحيث يجعل التجويف عن يسار المصلى. وفي عام ٨٨٨هـ اعاد السلطان الاشرف قايتباي تجديد هذا المحراب. وفي هذا العهد أمر خادم الحرمين الشريفين بترميمه واصلاحه، فتم ذلك عام ١٤٠٤هـ.

المحراب الثاني: المحراب العثماني، ويقع في مقدمة المسجد في جدار القبلة، محلى بقطع من الرخان الملون، فوقه آيات قرآنية مكتوبة بخط الثلث النافر وهي في غاية الابداع. أقامه عمر بن عبدالعزيز رحمه الله في موضع مصلى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه بالناس بعد توسعته للمسجد الشريف، ثم جدده الملك الاشرف قايتباي عام ٨٨٨هـ ولا يزال موضع الامام إلى الآن.

المحراب الثالث: محرب التهجد، ويقع في الجدار الشمالي

للمقصورة وهي ما يعرف اليوم بالحجرة الشريفة وقد اقيم هذا المحراب في المكان الذي كان يصلي فيه رسول الله (ص) التهجد. جدد هذا المحراب في عمارة قايتباي سنة ٨٨٨هـ، ثم اعيد تجديده في العمارة المجيدية وجعلوه قطعة واحدة من الحجر الأحمر، وابدعوا في صنعه، وكتبوا عليه آية التهجد :(ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) وحلوه بماء الذهب، وجعلوا حوله دكة انزل من دكة الاغوات، ولا يزال موجوداً الى الآن، وهو مغطى بخزانة يوضع فيها المصاحف الشريفة، الرابع: محراب السيدة فاطمة الزهراء(رض)، ويقع في بيتها داخل المقصورة، خلف حجرة السيدة عائشة (رض)، امام محراب التهجد، مجوف مرخم يشبه محراب النبي (ص)، وعليه كسوة، لا يظهر الا عند رفعها.

المحراب الخامس: المحراب السليماني او المحراب الحنفي، ويقع عند الاسطوانة الثالثة بمحاذاة المنبر الشريف من الغرب، بناه (طوغان شيخ) بعد سنة ٨٦٠هـ، وعين فيه اماماً حنفياً، ثم قام السلطان سليمان القانوني العثماني سنة ٩٣٨هـ على الصحيح بترخيمه وزخرفته بالابيض والاسود، فصار ينسب اليه، وقام فخري باشا بترميمه ابان الحرب العالمية الأولى.

المحراب السادس: محراب شيخ الحرم، ويقع شمال دكة الاغوات بأربعة أمتار تقريباً، وكان اذا جاء رمضان وقف شيخ الحرم خلف امامه الخاص ليصلي معه عند هذا المحراب التراويح، ثم دخل هذا المحراب بعدذلك في محيط مصلى النساء فاصبح خاصاً بهن، يتقدمهن امامهن الرسمي فيصلي بهن التراويح، ثم ازيل هذا المحراب مؤخراً.ن المحاريب الخشبية الموجودة في مسجد الآمر الفاطمي (٥١٩هـ –١١٢٥م) ومشهد السيدة نفيسة الذي أخبرنا المقريزي(ت:٤٨٥ هـ–١٤٤١م) عنه بأنه كان من الرخام .والأثران الخشبيان موجودان في متحف القاهرة الإسلامي اليوم.

محاريب لها تأريخ

ثمة محاريب مشهورة في العالم الإسلامي منها مثلا محراب مسجد القيروان الذي يعد من أقدم مساجد اللإسلام ومن عجائبةإحتفاظه بصفته الأولى ولم تؤثر الترميمات على هيئته، ولاسيما إحتفاظه بقطع الخزف التي تزينه من أعلاه وهي كانت قد أهديت من هارون الرشيد العباسي كأول منتج للخزف ذو البريق المعدني الذي شاع بعد ذلك، وهو قرين المنبر الذي ورد من نفس المصدر وحمل ليركب في هذا المسجد.

وثمة قصة لمحراب جامع إبن طولون في مصر الذي أمر ببناؤهالوالي العباسيأحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية سنة ٢٦٣هـ/٨٧٧م بمدينته الجديدة القطائع ليصبح ثالث مسجد جامعبني في عاصمة مصر الإسلامية بعد جامع عمرو بن العاص الذي بني في الفسطاط، وجامع العسكر الذي بني في مدينة العسكر . وقد أراد أن يسمع نقد الناس فأخبروه بأن محرابه صغير فجمع الناس وقال : أما المحراب فأني رأيت النبي (ص) وقد خطه لي في منامي، وأصبحت فرأيت النمل قد طافت بذلك المكان الذي خطه لي رسول الله .و لما انتهى الجامع وفتح للصلاة لم يحضر أحد من المصلين لاعتقادهم أنه بني بمال لا يعرفون أصله وكان الناس في ذلك الوقت محترزين على دينهم، فعز ذلك على ابن طولون وجمعهم في يوم جمعة وخطب فيهم وأقسم لهم أنه ما بنى هذا الجامع بشيء من ماله وأنه بناه بكنز ظفر به في الجبل الثالث، وأن العشارى الذي نصبه على مئذنته وجده في الكنز، وأكمل الخطبة، فلما سمع الناس ذلك اجتمع خلق كثير وصلوا فيه الجمعة ولما سمع الناس حكاية المحراب الذي خطه النمل عظم ذلك عندهم حتى ضاق بالمصلين فقالوا لابن طولون نريد أن تزيد لنا فيه زيادة، فزاد فيه ما يعرف حالياً بالزيادات.

وثمة من المحاريب التي ترسم ملامح الفنون الإسلامية الأولى والخصوصية يقعان في نايين وإصفهان جنوبي طهران بإيران، حيث يرجع تاريخ المسجد الجامع في نايين إلى القرن العاشر و أنشئ تحت حكم الدولة البويهية (٩٣٢-١٠٦٢) وخصوصيته تكمن في أن الجص المحفور يغطي محراب الجامع بشكل فني فريد، علما أن فنون الجص ونقشه وجدت في سامراء قبل هذا الموعد بقرن. ورغم ذلك يُظهر هذا المحراب التطور الذي وصل إليه فن الجص المحفور في هذا الجزء من العالم الإسلامي بعد ما اعتمد على ما أنتجته سامراء العباسية. وهو يحاكي الجص المحفور بجامع ابن طولون،كونه جاء أصلا من سامراء.وفي السياق ثمة محراب الجامع الأزهر بالقاهرة الذي بني في العهد الفاطمي و أُضيفت إليه أجزاء كثيرة بعد ذلك. يرجع تاريخ المحراب إلى تاريخ بناء الجامع (٩٧٠-٩٧٢) ويبقى من زخرفته الأصلية الجص المحفور بالجزء العلوي. وثمة تشابه بين زخرفة المحرابين البويهي(نايين) والفاطمي، رغم أن محراب الأزهر أعمق من محراب نايين ورغم أن الزخرفة في نايين أكثر بروزاً.

أما محراب المسجد الجامع بإصفهان فهو متأخر عن المحاريب الوسطية كما إبن طولون ونائين والأزهر فيرجع تاريخه

إلى العام ١٣١٠م، حيث أُضيف إلى الجامع في الغالب ليسجل تحول السلطان الإيلخانيأولجايتو إلى المذهب الشيعي الإثنى عشري في عام ١٣٠٩م.و يبلغ ارتفاع المحراب ستة أمتار وعرضه ثلاثة أمتار. ودرجة الدقة في حفر الجص بهذا المحراب عالية جدا،بحيث يشكل أهم آثار الدولة الإيلخانية. ونجد هنا أن كل جزء من المحراب محفور في الجص على أكثر من مستوى. ويحتوي الإطار المستطيل للمحراب نقشاً بالخط الثلث، أما النقش الإنشائي للمحراب فهو في قلب المحراب نفسه.ويتضمن النقش اسم الخطاط المنفذ لها: حيدر، الذي هو أحد تلاميذ ياقوت المستعصمي أعظم فناني الخط العربي في القرن الثالث عشر في بغداد.

وبجانب المحاريب الجصية أستعمل الرخام الملون في تكسيتها ونجد مثال مدفن الصالح نجم الدين أيوب(٦٤٨هـ – ١٢٥٠م).وقد تطور ذلك الى محاريب حجرية في العصر المملوكي في الشام ومصر ونجد مثالين في المسجد الأموي في مصر وكذلك مدفن قلاوون(٦٨٤هـ –١٢٨٥م) . وقد نجد حائط القبلة المتعدد المحاريب كما في مشهد السيدة أم كلثوم (٥١٦هـ– ١١٢٢م) والسيدة رقية(٥٢٧هـ –

١١٣٣م).ونفس الظاهرة نجدها في العمارة الهندية ولاسيما ما هو موجود في بلاد البنغال (بنغلاديش)،ويمكن أن يكون ذلك بسبب تخصيص محراب لكل مذهب من المصلين، كما كان قد عمل تقي الدين بن مراجل،إمام المسجد الأموي في دمشق عام (٧٢٨هـ –١٣٢٨م)، محرابين مخصصين للمذهبين الحنفي والحنبلي.

أما بقية المحاريب في المدرسة الهندية فهي مقتبسة من العمارة العراقية بعد إقتباسات في فارس وآسيا الوسطى.وفي تركيا نجد المحاريب قد أخذت طابعا بسيطا وعملت بالرخام أو فرشت بالقاشاني.ونجد حالة من وجود محراب ثانٍ يكتنفه الرواق المدبر لاتجاه القبلة في المساجد البلقانية والمسمى(يني رواق) ويعني (الرواق الجديد) وهو يستخدم لمن أم الصلاة في ذلك الرواق.وفي المغرب الأقصى اتخذ المحراب هيئة مهيبة وزين بالجص المنقوش بالزخارف الهندسية خلال الحقبة الموحدية ومثالها محراب مسجد تنمال،ونجد في نفس المدرسة المغربية الأندلسية بعض المحاريب ولاسيما ما تكرس خلال الحقبة المرابطية، والقاضي بتكوينه على هيئة حجرة صغيرة ذات سقف مقبب الغرض منها تضخيم الصوت وتحقيق الوظيفة السمعية التي تقتضي وصول

صوت المبلغ للصفوف الخلفية البعيدة، وينطبق الحال على مسجد قرطبة الذي هو فعلا محتاج لهذه الوظيفة.وفي المغرب كذلك اتخذت بعض المحاريب المتحركة المصنوعة من الخشب التي توضع في المكان التي تقتضيه الحاجة.

ومثلما نجد المحاريب المبنية الوحيدة أو المتعددة لكننا نجد كذلك الثابتة أو النقالة، ففي الاندلس والمغرب العربي، شاعت المنابر المتنقلة، التي تجر على عجل لتستخدم خلال اقامة صلاة الجمعة والعيدين، ولدى انتهاء الخطبة وقبل اقامة الصلاة، تعاد الى غرفة خاصة بها، وذلك حرصاً على الا تقطع صفوف المصلين، وقد نقلها الفاطميين إلى مصر ومنها أتسع تداوله، حتى وجدنا في شرق أفريقيا المسجد المتعدد المحاريب.

و كان بعضها تصمم من الخشب بحيث يمكن نقلها من مكان الى آخر في المسجد حسب مقتضيات الحاجة. وذكرالدكتور مُحَمَّد البهى عنالعمارة الفاطميةبأنها امتازت دون غيرها باستعمال المحاريب الخشبية المتنقلة([1]). والمثال البارز في هذا الشأن هو المحراب الخشبي المتنقل الذي صنعه الآمر بأحكام

([1])الدكتور مُحَمَّد البهي : الازهر: تاريخه وتطوره– وزارة الأوقاف وشؤون الأزهر –القاهرة– ١٣٨٤هـ\ ١٩٦٤م.

الله الفاطمي للجامع الازهر، وهو موجود الان بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة، ويرجع تاريخه الى عام ٥١٩ هـ\١١٢٥ م، وهو محراب مفعم بالنقوش الزخرفية .

وثمة محاريب نقالة اخرى من الخشبمعروضة في متحف الفن الاسلامي بالقاهرة،بالاضافة الى محراب الازهر،وابرزها محراب السيدة نفيسة ومحراب السيدة رقية، والاخير يعد من الجانب الفني اهم هذه المحاريب، نظراً لروعة زخارفه واتقان صنعته.

إذا انتقلنا الى الجانب الثاني، وهو تعدد المحاريب في المسجد الواحد، لبادرنا الى القول انه في صدر الاسلام، وقبل ان تنتشر المذاهب الاسلامية المتعددة لم يكن المسجد يحتوي الا على محراب واحد لجميع المصلين. غير ان الامر قد اختلف مع انتشار المذاهب الاربعة في شتى ارجاء العالم الاسلامي، وهي الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي، فعندما اصبح لكل من هذه المذاهب اتباع اخذت المحاريب تتعدد في المسجد الواحد، بحسب تعدد المذاهب في البلد الذي يقوم المسجد على ارضه، إما لغرض تزييني أو وظيفي، حتى خصص لكل مذهب من مذاهب الدراسة فيه محراب يختص به، وكما حدث في جامع ابن طولون في مصر (٢٦٣ –٢٦٥ هـ /٨٧٦ – ٨٧٩ م) عندما

بنيت فيه خمسة محاريب مسطحة الى جانب محرابه الأصلي المجوف.ويبدو ذلك ملحوظاً بصفة خاصة في العهود الايوبي والمملوكي بقسميه البرجي والبحري والعثماني.

هكذا تتعدد المحاريب في مساجد لها شأنها الرفيع، ومنها المسجد النبوي ذاته بالمدينة المنورة والمسجد الاموي والازهر ومسجد السلطان حسن وجامع المؤيد، بل اننا في مسجد الاربعين بجبل قاسيون نجد ان في الحائط الجنوبي لهذا المسجد محرابا كبيرا والى جانبه هناك اربعون محراباً.

ومن بين مميزات المسجد الأعظم بآسفي بالمغرب انحراف محرابه، مما جعله يضم محرابين: المنحرف بجهته الجنوبية والمضبوط بالجهة الشرقية، ووقع تصحيحه ورفع أهل آسفيطلبا إلى الملك مُحَمَّد الخامس بنقل المحراب من جهة الخطأ إلى الصواب، فكان جواب الملك بالإيجاب وبعث العلامة الفلكي مُحَمَّد العلمي ليشرف على تعيين القبلة الجديدة، وكان ذلك يوم الثلاثاء ٥ مايو ١٩٣٦، كما ذكر ذلكالمؤرخ العبدي الكانوني في كتابه (آسفي وما إليه). وعن هذا الانحراف، أورد قاضي آسفي ابن عزوز الأندلسي في كتابه (إرشاد السائل إلى معرفة القبلة بالدلائل) ما مضمونه: وأما المسجد الجامع عندنا بآسفي

فمحرابه منصوب إلى خط وسط الجنوب، فهو خارج عن الجهة بنحو ٥٠ درجة. وأكثر العامة يعتقدون عدم انحرافه لجهلهم بأدلة القبلة، فلا ينحرفون، ويزدحم الناس فيالصفوف، سيما الصف الأول، ويشق على المصلي مع ذلك الانحراف.

ويذكر عاصم مُحَمَّد رزق (١)، إن إدخال المحراب الى المساجد تم لأسباب عملية، ويقوم بدور مضخم الصوت للإمام عند تكبيره وتلاوته وركوعه وسجوده أثناء الصلاة. وهذا ما جربناه في محراب مسجد قرطبة الجامع، حيث للمحراب تصميم مضلع ومقبب بعناية يبدوا ان معمارها كان قد قام بحساب الإنكسارات الصوتية من أجل تضخيم الذبذبات حتى لنتفاجأ ان صوت خافت في داخل المحراب يتداعى إلى جهوري وقوي يمكن أن يسمعه على بعد مئة متر بوضوع، وهذا ما أقتضاه التوسعات الثلاث التي حصلت على مساحة هذا المسجد.

وحسبنا أن لكل عنصر في العمارة الإسلامية قصة لها جذور في الأزمنة والأمكنة يغوص في عمق التأريخ السابق للإسلام، لذا نتلمس ضرورة لأستجداد علم (إيتمولوجيا العمارة) الذي يبحث في تأثيل كل عنصر من جذورة الأولى

---

(١)عاصم مُحَمَّد رزق : (معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية) (القاهرة، ٢٠٠٠)

وذلك لدرء تحريفات وتخريفات المركزية الغربية التي حبذت أن تنسب العمارة الإسلامية إلى جذور هلامية وسائبة وبعيدة عن ثقافة المكان التراكي الذي لابد أن يؤثر في كل منتج الدهور، والعمارة شاهدها المادي الأهم، وذلك بمعين علم الحفريات الذي قلب المجن على كثير من المسلمات الأسطورية.

المحراب .. أصله ونشأته وتطوره

البروفيسور/ ر. ب. سارجنت
ترجمة : د.يحيي الجبوري

إن أصل كلمة "محراب"[(١)] غامض بعض الشيء. وتستعمل في الإسلام خاصة في قبلة الصلاة، والمادة في "دائرة المعارف الإسلامية"[(٢)] تتناولها بهذا الشكل فقط، ومع ذلك فإن هذا الاستعمال الفني للكلمة يبدو أنه تفرع من معنى أكثر بساطة وتعميماً، وفي ملاحظة دليل نشوئها كاسم لقسم من المعبد فقد ظهرت دلالته إسلامية خالصة.

لقد نوقش "المحراب" من قبل نولدكه Noldeke[(٣)] وهوروفتش

(*) البحثمنشوربمجلةحوليةكليةالشريعةوالدراساتالإسلامية – العددالأول – ١٤٠١هـ– ١٩٨٠ م

(١)يسعدني أن أعترف بديني الباحثين الذين تشاورت معهم في تحضير هذه المادة. لزميلي محمود الغول الذي أدين له بصورة خاصة لمساهمته الكبيرة جداَ، ولفحصه الكامل الذي عمله للمادة المخطوطة. وإني مدين أيضاً للطف البروفيسور كارل رائجنس الذي أذن باستنساخ مخطط هيكل حقه **Hugga temple** الشكل رقم ٢

(٢)دائرة المعارف الإسلامية، المواد: (قبلة)، (مسجد)، (محراب)

(٣) **NeueBeitragezursemitisehenSprachwissenschaft. Strassburg, 1910. P. 52, footnote**

Horovitz[(١)] ولاندبرك Landberg[(٢)]، وكذلك نوقش- لصلته بالدراسات المعمارية- من قبل كريزويل Creswell[(٣)]وسوفاجيه Souvaget[(٤)]، وقد اعتمدت هذه الدراسات على مجموعة من المراجع والمصادر التي أعدت فحصها، ولكن لم يكن غرضي أن أعيدها جملة in.toto، لقد أظهر كل من هؤلاء المؤلفين بشكل مقنع أن استعمال قبلة الصلاة بالمعنى الاصطلاحي لم يكن مبكراً.

ومن جانبنا، فالمؤكد أن المصدر العربي الأول والوحيد والمؤكد هو القرآن، فقد جاءت الكلمة فيه خمس مرات فقط في السور: ٣/ ٣٧، ٣٩، ١٩/ ١٠، ٣٨/ ٢١، ٣٤/ ١٣.[(٥)]

ومرة أخرى فلسنا بحاجة أن نضيف تفسيراً إلى تفسير

---

(١) BemerkugenzurGeschicte and Terminologie, Der Islam (Strassburg), zv1, 1927, 260-3

(٢) Glossairedatinois, Leiden, 1920- 42, 393 seq

(٣) Early Muslim architecture, Oxford, 1932, 1, p. 99

(٤) La mosque omeyyade de Medine, Paris, 1947, 145 seq

(٥)قلت: يشير المؤلف إلى الآيات: (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا) آل عمران ٣٧، و(فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ) آل عمران ٣٩، و (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا) مريم ١١ و (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ) سورة ص ٢١، (يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) سورة سبأ ١٣.

الدارسين السابقين، بيد أنه من المهم في أكثر من حالة أن المحراب استعمل ليدل على قبلة الصلاة، لأن النبي عني بوضوح أنه المكان المسقف حيث يجلس الناس.

يحتوي "تاج العروس"[1] مادة كاملة ومهمة في موضوع "المحراب" حيث يبدو من المناسب أن يجعل في الإنكليزية كما هو في العربية تقريباً: "المحراب هو الغرفة[2] والمكان العالي" وقد نقل الهروي هذا في كتابه "الغريب"[3] رواية عن الأصمعي: قال وصاح اليمن[4]:

ربة محراب إذا جئتها لم ألقها أو أرتقي سلماَ

والمكان البارز في البيت: صدر البيت، وأكرم مكان فيه. قال الزجاج في قول الله تعالى[5]: {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ}

([1]) القاهرة ١٣٠٦ هـ / ٢٠٦

([2]) غرفة: جمعها غرف. تبدو صالحة أيضاً للتطبيق على بعض الأنواع من البيوت، وهناك وأديان حضر ميان مقرونان بهذا الاسم.

([3]) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ١/ ١٠٧، والملحق ١/ ١٦٦ وما بعدها

([4]) ابن دريد: الاشتقاق ط. وستنفيلد (جوتنجن ١٨٥٤) ص ٤٧ يقرأ: (لم أدن حتى) لـ (لم ألقها أو) الرواية الأولى أفضل.

([5])سورة ص ٣٨/ ٢١

"المحراب أعلى بيت في الدار، وأعلى مكان في المسجد" ثم يقول: "المحراب هنا يشبه الغرفة"[1].

أما فيما يخص الحديث النبوي، فإن النبي أرسل "عروة بن مسعود: إلى قوم له في الطائف، فأتاهم ودخل محراباً له، فأشرف عليهم عند الفجر، ثم أذن للصلاة، قال: "وهذا يدل على أن الغرفة يرتقي إليها".

قال أبو عبيدة: "المحراب أشرف الأماكن"[2] و"أنه أشرف المجالس التي يجلس بها المرء".

قال الأزهري: "المحراب عند العامة: هو مقام الإمام في المسجد".

قال ابن الأنباري: "سمى محراب المسجد، لانفراد الإمام فيه، وبعده من القوم فيه.

يقال: فلان "حرب" لفلان: إذا كان بينهما بعد وتباغض" وقيل: "المحراب الموضع الذي ينفرد فيه الملك فيتباعد عن الناس".

في لسان العرب[3] يقرر بأن: "المحاريب هي الأجزاء البارزة من

---

[1] لقد صير المفسرون هذه العبارة (إذ تصعد سور الغرفة).

[2] الفيومي: المصباح المنير، القاهرة ١٩١٢، ص ١٩٨ (أشرف) قد تعني (أكثر شرفا)

[3] لسان العرب ١/ ٢٠٦ طبعة جديدة ١/ ٣٠٥

الأماكن حيث يجلس الناس "صدور المجالس". ومن هذا اشتق المحراب بمعنى المكان الذي يجلس فيه "المجلس"، ومنه اشتق أيضاً محاريب غمدان[1] في اليمن. المحراب هو القبلة. ومحراب المسجد هو أيضاً الجزء البارز، وأعلى مكان فيه".

وفي حديث أنس أنه كان لا يحب "المحاريب"، يعني الجلوس في المحلات البارزة من المجلس حيث يجلس الناس "صدر المجلس" ويكون في مستوى أعلى من الآخرين، يترفع على الناس.

وفي كلام الله: { فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ}[2] قالوا: يعني من المسجد.

المحراب: أكرم مجالس الملوك، كما يقول أبو حنيفة.

قال أبو عبيدة: "المحراب سيد المجالس، ولذلك فهو مقدم، وهو أشرفها" يقول: "وذلك لصلته بالمساجد"[3].

وعن الأصمعي: أن العرب تسمى القصر محراباً لشرفه، وأنشد:

أو دميـــة صـــور محرابهـــا أو درة ســـيقت إلى تاجـــر

---

[1] قصر صنعاء الشهير، الموقع الذي ما زال معروفاً حتى اليوم

[2] سورة مريم ١١

[3] قارن بروكلمان: تاريخ الأدب العربي ١/ ١٠٣. ولد أبو عبيدة سنة ١١٠هـ/ ٧٢٨م

وقد عني بالمحراب: القصر، وبالدامية: الصورة.

وروي الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء قال: "دخلت محراباً من محاريب حمير فنفح في وجهي ريح المسك" أراد قصراً وما يشبهه.

وتضمن قول الله: { مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ }[1] قال الفراء: "ذكر أنها صور الملائكة[2] والأنبياء كانت تصور في المساجد ليراها الناس فيزدادوا اعتبارا"، وقال الزجاج:

"هي واحدة المحراب الذي يصلي فيه"، وقيل: "سمي المحراب محراباً، لأن الإمام إذا قام فيه لم يأمن أن يلحن ويخطئ..."

إن محاريب بني إسرائيل هي مساجدهم التي اعتادوا أن يجلسوا فيها، كما كانت للتشاور في قضايا الحرب. وفي التهذيب:

---

[1] سورة سبأ. كانت هذه تزود سليمان بالجفان مثل الجابية وقدور الطبخ. المحاريب المزينة كانت في الأغلب أماكن حيث كان الضيوف يسمرون، ومن وجهة نظر المكتشفات الأثرية الحديثة في جنوبي الجزيرة، فمن الممتع أن نجد المفسرين يقررون أن عرش سليمان كان محمولاً على أسدين، في حين أن نسرين كانا في أعلاه.

[2] اكتشف رأس ملك من رخام في حصن الرناد في تريم كان ضمن القصر الجديد مبني في ذلك الموقع.

"حيث كانوا يجتمعون فيه للصلاة وما شابه[1]".

وشبيه بهذا رأي ابن الأعرابي: "المحراب هو المكان الذي يجلس فيه الناس ويجتمعون".

والرأي الأكثر دلالة وأهمية– الذي يقتبس– هو رأي الزهري "المتوفي سنة ٧٤٢م" الذي عاش في نهاية العصر الأموي، فهو يجعل المحراب في القبلة في نهاية المسجد، ولكنه لم يطابقه بشكل إيجابي على الأقل مع القبلة، لقد عرفه على أنه صيغة لعامة الناس بهذا المعنى، فقد ظهر ليدل على أنه قد نشأ استعمالاً اصطلاحياً في هذه الفترة، وكان المحراب مكاناً مرفوعاً حيث يجلس الناس، وقد اقترن بمفهوم الشرف، وفي هذا المجال ربما له علاقة بالجزء الطيني المرتفع من غرفة الاستقبال في البيت، وقد رأيت ذلك في "ضالع"، ويعرف هناك بـ "الديوان"، وفي صنعاء بـ "الليوان"[2]، ولكن في بيجان بـ "هداح".

وينبغي أن يضاف بأن كلمة "قصر" التي حددت من قبل بعض الرواة المتقدمين بالمحراب، تعني في حضر موت: طبقة من

---

(١)للأزهري المتوفى سنة ٢٧٠ هـ

(٢) C. Rathjens and S. D. Goitein, Jewish domestic architect ure in San'a, Yemen, Jerusalem, 1957, 73. See also p. 451 infra

دار[١]، ولكني لا أرجح بالضرورة أنها كانت تستعمل هنا كذلك.

والسؤال في النتيجة يكون: وبعد ماذا كان يعني المحراب بالضبط قبل الإسلام؟

يبدو لي أن انحدار الكلمة من الحبشية- بسبب علاقتها بجنوب الجزيرة- غير محتمل، لأن الحضارة الحبشية كانت فطرية وثانوية.

لقد حاول ساليسدايجس SalisDaiches أن يربطها بالكلمة العبرية חֲרָבוֹת في معنى القصر[٢]، ودعم حجته بعدد من الاقتباسات من التوراة.

لقد أمدني زميلي "محمود الغول" ببيانات نافعة في الوقت الحاضر عن جنوبي الجزيرة قديماً حيث اقتبس بتوسع in exteso: "أن كلمة محرب mhrb جاءت مرتين في المخطوطات المعروفة لجنوبي الجزيرة، إنها لم تعرف بالضبط لأي نوع من البناء، أو

---

(١) البناء والبناؤون في حضر موت Le Museon ٦٧، ١٩٤٩، ٢٨٤. ربما في كتاب ابن المجاور: تاريخ المستبصر، ط. لوفكرن O. Lofgren، ليدن ٥١- ١٩٥٤ هناك صدى لهذا المعنى للقصر

(٢) معنى كلمة חֲרָבוֹת

Jewish Quarterly Review, XX, 1908, 637- 9

المكان، ولا لأي شيء تعود، لأن الكلمتين كلتيهما لم تكونا معروفتين إلا بعد أن نقلتا إلى عدن.

المخطوطة الأقدم المعروفة بـ CIXH, 106 (BM55) يبدو أنها نشأت من "كوكبان" في منطقة "همدان" لأن اسم ذلك الموضع مذكور في المخطوطة حيث تقرأ:

٢. ؟ / برء
٣. و/ وهشقرن/ محربن
٤. كوكبن
٢. ؟ أوجدوا
٣. وأنجزوا المحراب
٤. كوكبان

إن قراءة كلمة "محربن" محفوفة بالشك. يوازن د. هـ. مولر D. H. Muller كلمة "محربن" مع "محرمن"، على أساس من وجود تغير حرف صحيح، وترجم الكلمة على أنها "حرم". إن ناشر المجموعة آثر ترجمة الكلمة بـ "حصن" أو "برج" مبيناً ذلك وفقاً لجزيرة الهمداني[1] وصف الـ "كوكبان" على أنه قصر أو حصن، لذلك فإن الناشر اشتقها من الجذر "حرب"، مقرراً أن تفسير النص على

([1]) صفة جزيرة العرب، ط. د. هـ. مولر، ليدم ٨٤– ١٨٩١، ١/ ١٠٨، ١٩٥

أنه "حصن" يناسب تحصين كوكبان جيداً. هذا التفسير– نوعاً ما– يبدو أن له سنداً في التاج "قارن الاقتباس السابق".

المخطوطة الثانية جاء فيها "محرب" في مجموعة كايكيمونجرجي**MuncherjeeKaiki**: أن قراءة "محربة" **(R, 4108, 3)** مرممة جزئياً، ولا تضيف هذه المخطوطة لما قدمته المخطوطة **CIH, 106** شيئاً.

في الواقع أن المخطوطة الثانية كانت قد عهدت من قبل شخص ما برتبة "مقتوى" الملك، ورتبة مقتوى هذه قد أحيت قراءتها، ربما لم تكن دليلاً أكيداً على حجم الـ "محرب" فيما إذا كان تحصيناً، أو شيئاً آخر لكتابة أكثر خصوصية.

ونص آخر: "تحربت" **thrbt** وقع في عدد من المخطوطات[١].

موردتمان**Mordtmann**وميتوح**Mittwoch** يرفضان هنا إقحام ما استعمل في مخطوطة **CIH, 357, 12** أصلاً، ذلك أن الكلمة

---

(١) قارن موردتمانوميتوج **J.H. Mordtmann and E. Mittwoch, SabaischeInschtiften, Hamburg, 931, 221- 3**

فيها أي شيء يستعمل في الحرب[1] ولقد أنهيا مناقشتهما بقولهما:

([1])قارن، R. 4632, حيث صيرها م. هفنرm. Hofner إلى kampfszene لقد جهزني محمود الغول بمادة إضافية لـ "تحرب": في المخطوطة CIH, 537, 10- 12 تقر: (١٠)– أحمده/ بهر/ (١١) أيت/ هرئي/ لهم (١٢)– و/ بتحربن.

ترجم مورتمانوميتوج: "وفي الامتنان له للرؤيا التي أراهم إياها" لقد قارنا مع هذه المخطوطة مخطوطتين أخريين، وفيها قرابين شكر على ما وهب من رؤيا، في إحدى الحالات قد شوهدت الرؤيا، أو أوحى في: "ب نعمن/ وألم" هيكلان لـ "عصتر"، وفي الأخرى: "بمحر من/ ذموم"، وفي هيكل: "أوم".

وقد علقوا على هذه جميعها: "في الحالات الثلاث جميعها فهي ذات علاقة بالتحنث Incubationsorakel الرؤيا خلال التقهقر" أكثر من مخطوطة تذكر وحي الرؤيا لتقارن باؤلاء. RES, 3929, 5 حيث تقرأ: حجن/ قهرأيهو/ بسنثو.

لتكون ترجمتها: "بناء على ما أراه له في سنته". قارن: "سنتsnt" بـ "سنة" العربية، كما في القرآن– سورة البقرة ٢٢٥– : (لا تأخذه سنة ولا نوم).

وهكذا، فمن هذه المخطوطات ندرك أن هذه الرؤى كانت توحي في الهياكل أثناء النوم، وفي "تحرب". إني لا أظن بأن "تحربن" في المخطوطة CIH, 357, 12 يمكن أن تتعادل مع هيكل أو مع سنة، ولكنها مظهر آخر، أو ظرف يشترك مع طقس أو أسلوب لمشاهدة الرؤى.

مع هذا الشكل للتحنث يستطيع المرء أن يقارن حالتين تمارسان في الإسلام: صلاة الاستخارة، والاعتكاف في المسجد.

في الأولى يدعو المرء عون الله بوساطة الهامة إرادته أن يدله على القرار الصحيح الذي يجب أن يتخذه، وفقاً الممارسات غير التقليدية unorthodox، ويقوم بصلاة خاصة، وبعدها يذهب لينام مع نظافة تامة للجسم والمكان، وقد تتخذ أحياناً في المسجد نفسه، آملاً أن يلهم الرؤيا حين النعاس ما طلب أن يعرف. "قارن دائرة المعارف الإسلامية مادة– استخارة".

في الاعتكاف يعتزل المتعبد في الأيام العشرة الأخيرة من رمضان في المبنى التابع للمسجد، يلزم نفسه بنظام قاس من الزهد، والمعتزل متصل كلياً بمراقبة ليلة القدر، التي يفترض أن تقع في إحدى الليالي العشر الأخيرة من ذلك الشهر. من الممكن أن توازن "تحربن" كرياضة مع الاعتكاف، ويمكن أن يوجد السند اللغوي في البيان الذي يزعم أن "محراب المسجد" إنما سمي

كذلك لأن الإمام يكون فيه وحده، وأن "المحراب" هو المكان الذي يكون فيه الملك وحده "راجع التاج السابق".

إن معنى الاعتزال أو التوحد يقرن تماماً بالمحراب في القرآن ٣/ ٣٧، ٣٩، ١٩/ ١١.

إني أتناول "تحربن" هنا، إذا فهمت على أنها حدث، اسم مشتق من الصيغة الخامسة. وهكذا من الممكن أن تكون اسماً وصفياً مشتقاً، في معنى لإنجاز شيء في، أو يعمل مع "محراب". في هذه القرينة ينبغي أن ينتبه بأن المحراب العربي من الممكن أن يستعمل خيمة "ممر ضيق"، ذلك لأن النبي جعل اعتكافه في خيمة داخل المسجد.

– ومع ذلك فإذا أمكن اتخاذ "تحربن" لتدل على مكان، فمن المحتمل بعد ذلك "تفعال" مثل كلمة "تمثال" العربية، كما يقترح الأستاذ بيستون**Beeston** "قارن الصحاح مادة– تقر– يسوي الصخور، ومن المحتمل من– تنقار– جذر نقر".

وكاسم حقيقي "تحرب" ممكن أن يعني: "مكان الاعتزال"، وفي هذه الحالة: أما أن تكون صومعة في معبد، أو من الممكن حقاً خيمة، أو شيئاً آخر من البناء.

الصيغة الأخرى "تحربت" تبدو من الراجح أن تكون نوعاً من البناء. **GL. 738 (RES. 4632)** كان بناء مطموراً في جدار في طارمة السقي، كان فوقه تمثال يصور رجلاً بيده اليمنى فأس، وفي يده اليسرى ترس، وعلى جانبيه كلبان نشيطان.

يقرأ النص:

١. مرطدم/ ابنه/ رطدم/ بني

٢. (ذ) يهر حب/ شمو/ تحربت

٣. (ن/) لوفيهم

تترجمة ماريا هفنر**Maria Hofner**:

١. موطدم وولده رطدم من قبيلة.

٢. ذ. يهرحب قد شيدا هذا المشهد الحربي.

٣. لأجل أمنهم.

ترى الدكتورة "هفنر" أن الكلمة "تحربت" قد فسرت بحلية معمارية للتمثال، وأن الكلبين يمثلان الأعداء، ولكني أقترح إذا كان جوسق السقي حيث قد بنى النقش هو بناء أثري، وإذا كان النقش جزءاً أصلياً من البناء، فإن "تحربت" تعود إلى الجوسق نفسه، والكلمة سوف تحمل بعد ذلك معنى "غرفة" أو "جوسق"، ومن المحتمل لأجل المشاهدة– وهذا يعزز كذلك بالمخطوطة **RES, 3512,**،

"إن الكلمة– كما يعتقد ريكمانسRyckmans كذلك– من الصعب أن تكون أي شيء يعمل مع الحرب، ولكنها فضلاً عن ذلك تشير إلى أداء عبادة: شعائر، أو بعض الأشياء المرتبطة بالشعائر، وإنها لتذكر المرء بالمحراب الإسلامي".

إن المصادر ذات الصلة بالموضوع ترى أن كلمة "محراب" كانت معروفة في العربية قبل الإسلام، وأن هذا لم يكن ليثبت حقيقة، ليكون أي ترابط مباشر مع الشعائر. إنه لمن المناسب أن نورد إيضاحاً جديداً لمعنى المحراب، حيث يبدو أنه يلقي ضوءاً مختلفاً نوعاً ما على معناه الأصلي.

ولسوء الحظ فإن النقش قد أصابه تلف كثير– أن الكلمة هي في ما يقدم الهيكل، في المتحف البريطاني، ويبدو أنها تقدم على أنها صلاة شكر، لأجل تشييد بناء "تحربت".

السطر الثالث يقرأ:

/ذ. معدم/ بموقر/ ذ تحربهن/ بطلم، لفاكهة طازجة، أو تمر، لأجل أن تقدم– أو ربما وجبة طعام، وليمة– لجوسق الصخر.

أم عدم: قارن "معد" العربية: خضرة طرية، فاكهة طازجة، أو تمر، موقر: قارن "وكرة" العربية، "وكر"، طعام، وجبة، تعطي أو تصنع بمناسبة الانتهاء من البناء، الفعل: وكر.

طلم: قارن كلمة سلم العربية جمعها: سلام، وسلم، حصاة في لهجة حمير. كأنه مبادلة بين حرف (س) وحرف (ط) إنه يدل بصورة كافية على أن هذه الكتابة هي في الحميرية، اللهجة التي عرفت باستبدال حرف (س) بحرف (ط). م. غ.

المسجد الحضرمي:

أثناء محادثتي مع محدثي الحضرمي الجليل الشيخ "عبد الله رحيم بأفضل" استعمل عبارات غريبة نوعاً ما- في تسمية أجزاء من المسجد- استرعت انتباهي. في أجابته على استفساراتي الكثيرة رسم لي تخطيطاً بسيطاً للشكل (ا) ورسم فوقه بخط غير متقن صورة مسجد، ولو أنه لم يقصد مسجداً معيناً، ولا بد أن يكون لرحيم حس دقيق، في معرفة تصور تخطيط المسجد، لأنه قد أمضى أكثر حياته في- أو حول- مساجد "تريم" وغيرها. إنني لم أصادق أحداً مثل هذا الشيخ في كمال الحكمة الدينية.

في النهاية العليا من الرسم قاعة مسقفة، مختلفة في الحجم حسب الحاجة، مسدودة من كافة الجوانب ومجهزة بسقف وأبواب ونوافذ، وتسمى هذه القاعة بـ "الحمام" أو "كنين" أو "المكان الكنين" مشتقة من الجذر "يكن" الإنسان، أو "يكتن" في معنى: يغطي[١].

إن عبارة "حمام" متأتية صراحة من معنى الدفء، لأنه خلال

([١]) استرعى محمود الغول انتباهي إلى العبارة الآتية من "تاج العروس" قديمة ط ١٠ / ٣٢٣: "والكنة- بالضم- جناح يخرج من حائط وشبهه، أو هي سقيفة تشرع فوق باب الدار أو ظلة تكون هناك، أو مخدع أو رف يشرع في البيت، أو كالصفة بين يدي البيت، عن أبي عمرو".

الشتاء يكون البرد قارساً في حضر موت في الصباح الباكر وبعد الظلام، وفي الواقع.. كثيراً ما يجد المرء في بعض الأحيان أكواماً من جذوع النخيل قرب المسجد، تستعمل في تسخين الماء لأجل الوضوء قبل الصلاة، فالحمام لم يكن معروفاً بعد في المصادر المتقدمة، مثل كتاب "الجزيرة" للهمداني، وعلى أية حال لقد وجدت في "الجوهر الشفاف"[1] المؤلف قبل سنة ٨٥٥ هـ ١٤٥١ م ذكراً للحمامات في الشجر بهذا المعنى الخاص، ويشير "المشرع الروي"[2] إلى بناء حمام في مسجد "تريم" نحو سنة ٨٠١ هـ / ٩٨ -١٣٩٩م.

([1]) مصور في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية. القسم الثاني حكاية رقم ٤٠٧

([2]) محمد بن أبي بكر الشلي: المشرع الروي، ط القاهرة ١٣١٩ هـ ١/ ١٤١. يناقش الكتاب المذكور ١/ ١٣٦- ١٣٧ تشييد مسجد آل با علوي المعروف سابقاً بمسجد بني أحمد في "تريم" من قبل سيد محمد بن علي خالع قسم المشهور. كان قد بني من صلصال جيد من بيت جبير، طابوق غير مفخور (لبن) نقل إلى تريم على واسطة تعرف بـ "الجراديم"، وهي واسطة نقل لها عجلات تجرها الثيران والبغال، وتدعي أيضاً العربة، وكان قد جدد بناءه من قبل "عمر المحضار" سنة ٨٠١ هـ/ ٩٨- ١٣٩٩م، وأضيفت المنارة بالطراز المحلي، وليست كمنائر المدن المقدسة ذات الطراز التركي، ثم بنى له "محل كنين" للمصلي في أيام الشتاء بالقرب منه بالجانب الشرقي، وقد جعل وقفاً كمسجد معروف لهم باسم حمام، على اعتبار كونه "كنينا"، وقد عملت بجانبه أحواض: برك، حيث يسخن بها الماء، وهم يدعونها: حماماً لأن الحمام مشتق من الحميم بمعنى: الماء الحار، لأنه ليس حمامًا فارسياً "أعجمياً"، وفيما يختص بالصلاة حيث التحريم تحدر إلينا، ثم يقتبس المؤلف حديثين في هذا الموضوع. هذه العبارة ليست واضحة جداً على أنها موضع الكنين تظهر وكأنها كانت قد بنيت على الجانب المعاكس المقبلة، وربما أضيفت أمام المسجد.

لدى امتداد الحمام بهذا المعنى لم يدونها "لين" Lane، ويبدو أنها لم تكن معروفة للمعاجم القديمة.

في مقابل الحمام باحة مسقفة، نوع من الرواق يعرف بالـ "محاريب"، مفتوح من جانبه الآخر على فناء. إن المحراب الواحد كما قرره الشيخ "رحيم" هو: صف حق السواري، أي: صف من الأعمدة، على طول المسافات بين كل عمود ولكنه يبدو أن يكون مستعملاً لكل هذه الأجزاء من المسجد. إن هذا المعنى ليس جديداً بل مؤكداً بسيرة مشايخ الخطيب(١) كتاب من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي حيث يتحدث عن: العمود المنصوب في آخر صف المحاريب. ذلك أن كلمة محراب ربما كانت قد استخدمت كجزء من المسجد الذي له صف من الأعمدة، وإني استدل من "الجوهر الشفاف"(٢) بأن للمسجد: محراب شرقي ومحراب قبلي، وأظن بأن هذا ينبغي أن يفهم على أنه رواق مسقف من الجانب الشرقي، والجانب الغربي من ساحة المسجد. إن المسجد الحضرمي له– إلا في النادر– مثل هذه الأعمدة

---

(١) مواد تاريخ جنوب الجزيرة، مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية ٣/ ١٩٥٠٢ ص ٣٠٥ BSOAS

(٢) مواد تاريخ جنوب الجزيرة، مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية ٣/ ١٩٥٠٢ حكاية رقم ٣٢٨

المصفوفة في جمع جهات الساحة الأربع، كما أتذكر من الجامع في "تريم" الذي له اسم "مدين" الرائع، ومعناه تخميناً: مكان الدين. وعلى أبواب معينة من هذا المسجد- من الجانب الشرقي- أطلق "رحيم" اسم "مفقر" جمعها: مفاقر، ويمكن أن يطلع على صورة لمثل هذا المسجد في كتاب حضر موت. تأليف د. فان دير مولن **D. van de Meulen** وفون وسمن **H. von Wissman**(١) الوجه العريض منها، من ذاكرتي عن الغرف يجب أن تقع تجاه القبلة، وتقع أمام المحراب الساحة المكشوفة "الصحن"، وتسمى في حضر موت "ضاحي"، أي المكان المتعرض للشمس، على النقيض من "الكنين" المغطي. إن سيرة مشايخ آل باعباد(٢) تشير إلى "ضاحي" مسجد شبام: ساحة مسجد شبام.

ويدعى الممر الذي أمام الساحة المكشوفة "المجاز"، ويؤدي إلى "الجوابي"- مفردها جابية- أو مكان الوضوء حيث- كما أتذكر – يعتبر غير نظيف، والجزء الذي قلما يكون لائقاً في المسجد، هو محل الوضوء. يتحدث "الاكلسل الوقاد"(٣) عن:

---

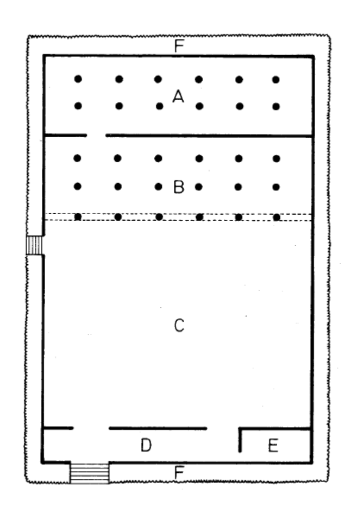
(١) حضر موت، ط ليدن ١٩٣٢ مقابل ص ١٩٢

(٢) الإكليل الوقاد، قارن "مواد تاريخ جنوب الجزيرة، ٢" المرجع السابق ١٣/ ٣، ١٩٥٠، ٥٨٩ كنت قادراً على فحص أوراق من هذا العمل في حريصة وفي سيوون في ١٩٥٤

(٣) المرجع السابق نفسه.

مجاز جابية مسجد الخوقة، في شبام حوالي النصف الأول من القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وهكذا، فإن هذا على أية حال ليس نصاً حديثاً.

المنارة– ولو أنها بعامة غير ثابتة– تكون في الزاوية الشمالية الشرقية في "الركن الشرقي النجدي" وهي في الواقع من الممكن إن ترى في الصورة لغرفة المسجد في حضر موت، بيد أن "رحيماً" يقرر بأن المنائر تكون قبل كل شيء في منتصف الجانب الشمالي من المساجد، وقد انقرض سريعاً أولئك الذين يخططون للمنارة أولاً في الزاوية الشمالية الشرقية من الجامع. في هذا التقليد المقدس جداً، عادة هناك ما يستحب أن يوجد– كمغزى ضمني، ولكن يبدو أنه قد نسى.



شكل (١) المسجد الحضر مي؟

(A) الحمام أو المكان الكنين: القاعة المغطاة.

(B) المحاريب، مفتوحة على قاعة المسجد.

(C)الضاحي أو الصحن: الفناء المكشوف من المسجد.

(D) المجاز أو الممر

(F) العصبي، أو رصيف صخري حيث يشاد عليه المسجد

(E) الجوابي: أحواض للوضوء.

ملاحظة: المنارة أو المنائر لا ترى، لكن بما أن المنارة تكون عادة في الزاوية الشمالية الشرقية في هذه الأيام، فينبغي أن توضع في مكان ما في منطقة من الساحة المؤشرة بحرف(E).

أما القبلة فينبغي أن تكون في مكان ما عند الحرف (A). المساجد الحضر مية تواجه قليلاً من الشمال الغربي، ولهذا السبب يعرف الغرب بالقبلي.

في الجوانب الغربية من الجوامع أو المساجد الجامعة، وكذلك الحبانة التي هي مسجد في موضع الدفن[1]، هناك عادة باب صغير لصلاة العيد وللصلاة على الميت. ويوجد في العادة أيضاً باب

([1])نوقش في (مقابر تريم) لو مسيون**Le Museon** ٦٢، ١٩٤٩، ١٥٨

للخطيب ليدخل دون أن يجتاز خلال المصلين.

من الممتع ملاحظة أن صلاة الاستسقاء تقام في المسيال أو بالأحرى في كل مكان. جرت العادة في "تريم" أن يمسك المجرى حيث يمر خلال ثلاث مقابر.

المسجد مثل البيت العادي، يبني على الأساس: رصيف من حجر، أعلى من مستوى الأرض بعدة أقدام على جانب واحد، وأحياناً على شتي الجوانب، وتشكل هذه التأسيسات وراء الجدران نوعاً من الأرصفة تعرف في تريم بـ "العصبي"، وتفسر على أنها "دكة" أو "رقدة طويلة" والدكة: هي الكلمة الشائعة لهذه العتبة أو الرصيف، وأتذكر أني سمعتها تستعمل فعلاً للغرض نفسه بعيداً عن الجزيرة العربية، كما في مدينة إقليم في جنوبي كانوا في نيجيريا[1]. يتحدث "الاكليل الوقاد" في الفترة بين سنة ٨٣٤ هـ و سنة ٨٣٧ هـ/ ١٤٣٠- ١٤٣٤ م عن "العصبي" لجامع في الغرفة، حيث — كما لاحظنا- موضح في حضر موت.

وفي "حريصة" أيضاً نسخة من "الإكليل الوقاد" تتحدث عن مسجد في سنة ٨٣٩ هـ ١٤٣٥ م: "وعاد نورته بقية

---

[1] نوقشت كلمة دكة في (صك بيت يهودي- عربي من حبان) مجلة الجمعية الملكية الآسيوية ١٩٥٣ ص ١٢٩ الشربجي: طبقات الخواص، القاهرة ١٩٠٣، ص ٧٧ يشير إلى دكة البيت

والعصبي"و: "ما زال جصه باقياً وكذلك العصبي". وقد قيل لي بأن "المنصب" الذي على قبر الشيخ عثمان في عدن هو "الافريز" نفسه الذي كان يسمى "البغلة".

المحراب:

إن المصادر الحضرمية تقتبس حتى الآن قصة غريبة لاستعمال المحراب في حضر موت وهي متأخرة نسبياً، ولكن امرأ القيس يعزو إلى "محاريب الأقوال" الأقيال هم أمراء العربية الجنوبية كما هو معروف[١].

السيد علاوي بن طاهر[٢] يروي بأن الزاهد الشيخ "سالم با فضل" – توفي ٥٨١ هـ ٨٥– ١١٨٦ م والذي أنشأ مدارس في هجر– قد ذبح ظلماً وعدواناً، حين كان في محرابة يقرأ السور.

يتحدث الشرجي[٣] عن ولي على أنه: "جالس في محراب" مدرسة. إن الشرجي[٤] على أية حال يستعمل المحراب بوضوح تام، بمعنى القبلة أو المكان الذي تكون فيه القبلة. لقد دهشت حين علمت

---

(١) دي سلان: ديوان امرئ القيس، باريس ١٩٣٧ ص ٥٢/ ٣٣

(٢) عقود الألماس، سنغافورة، ١٩٤٩، ٢/ ٧٥

(٣) المصدر السابق ١٨٠

(٤) المصدر السابق ١٥٤

أخيراً بأن الإمام في عدن يجلس فعلاً في المحراب حينما يلقي الخطبة، لأن المنبر يحرك إلى داخل المحراب، والمحراب كاف لأن يتسع له.

في مساجد "مومباسة" حيث حضرت في مسجدين أو ثلاثة درس المساء "درسه" إن المدرس لا يجلس في المحراب، ولكن أمامه، وبقية أولئك الذين يحضرون الدرس "درسه" ينتظمون في الغالب في مواجهته، ومن الممتع أيضاً أن في "مالندي" في "كينيا" يعمل بخور النذور "نذيرة" في قبلة المحراب. وهذا مثبت في القبلات المتهدمة لجيدي Gedi التي نقب عنها، فقد أراني جيمس كيركما James Kirkman نذوراً من هذا النوع عملت حديثاً على أنها شكل من أشكال الصدقة. ويبدو أن كلمة "محراب" من الصعوبة أن تعرف هنا، ومن الواضح حقاً أنها لا تستعمل اعتيادياً في الكلام السواحيلي مطلقاً، ولا من قبل المتكلمين بالعربية في الساحل، مع أن الكلمة قد أصبحت اسماً دينياً، ومجازاً مألوفاً في المعاجم السواحيلية، وهذا- كما أظن- يكون تفسيراً فقط لحقيقة أن المفردة العربية في السواحيلي وفي العبادة الإسلامية مأخوذة مباشرة عن العرب الشوافع في حضر موت، وربما بقدر أقل من اليمن، حيث ينبغي أن يكون الاستعمال الشائع لكلمة "محراب" لشيء ليس مطابقاً مباشرة لكلمة القبلة.

هنالك مراجع ليست قليلة عن المحراب في الفترة الإسلامية الأولى، حيث تبين أنها ما كانت تستعمل المحراب للكورة[1]، ولكن لشيء أكثر اتساعاً.

في دمشق في الجامع الكبير القسم المعروف بـ "محراب صحابة الرسول" ربما كانت مساحته بقدر حائط[2]. يتحدث الكندي[3] عن قبلة المسجد على أنها مكان يتعبد فيه المصلي، ويمكن أن تدل هذه العبارة الأخيرة أيضاً على معنى أكثر من "كوة" في البداية.

يتحدث ابن عبد الحكم[4] عن شخص قبل سنة ٨٩ هـ/ ٧٠٧ م "ركع في المحراب". يعزوها ابن قلانس[5] إلى محراب

(١) المراد بها ترجمة لكلمة **niche** وهي الكوة غير النافذة في الحائط حيث يقف فيها الإمام في الصلاة

(٢) كاترمير: تاريخ سلاطين المماليك، باريس ١٨٧٣، ٢ الذيل ص ٢٨٢ وما بعدها. قارن الكتاب السابق ١/ ١٦٤ يقتبس نصاً يعود إلى الجامع الاموي يذكر أن: المحراب فيه ثلاث مقصورات. يستشهد "كاترمير" بعدة مراجع عن المحراب في الجامع الأموي حيث يظهر أن المقصورة احتوت أو جاورت محراباً. ربما كانت العبارة المستشهد بها تعني أن المحراب كان واسعاً جداً بحيث كانت أمامه عدة مقصورات. إن المادة التي اقتبسها في هذه الدراسة على أية حال متأخرة نوعاً ما، عدا فيما يخص اقتراحه بأن اسم محراب ربما يكون مخصصاً من كل المقصورات إلى القبلة أمامه.

(٣) أ. ر. كست **A. R. Guest**: حكام مصر وقضاتها. لندن ١٩١٢ ص ٦٢

(٤) تاريخ فتح مصر، ط توري، نيوها فن ١٩٢٢ ص ٢٣٨

(٥)تاريخ دمشق، ط أميدروز، ليدن ١٩٠٨، ٩

المصلي ويستعمل كلمة "محاريب" في أسلوب يتضمن عدم كونها كوي الصلاة، ولكنها أجزاء من المسجد يمكن أن يقف فيها ويصلي مجموعة من الناس. وهناك مراجع متقدمة لمحاريب داود وأنبياء آخرين في القدس تترك انطباعا بأنها كانت نوعاً من المصلي[1].

يستشهد لامانس[2] بحديث رواه السيوطي، غير موثق وضعيف السند: "اتقوا[3] هذه المذابح. يعني: المحاريب". لقد اقترح سابقاً من قبل باحثين معينين بأنه كان محظوراً أن يستعمل المحراب- حيث يفهم في معنى صلاة المحراب- لأنه كان مرتبطاً بالديانة المسيحية، ومع ذلك فإن هناك شعيرة بمعنى هذا الحديث في التاج[4]: "المذابح- أماكن الذبح- هي محاريب، سميت كذلك بسبب القرابين، والمذابح: هي المقاصير في الكنائس. جمع مقصورة، ويقال: إنها المحاريب والمذابح". لكي يفهم المحراب بمعنى المقصورة أو الهيكل تلقي أضواء مختلفة جداً على التحريم.

---

(1) الطبري، تاريخ، ط د يغويه. ليدن ١٨٧٩- ١٩٠١، ١/ ٢٤٠٨. ابن حوقل، المسالك والممالك، ط د يغويه. ليدن ١٨٧٣، ص ١١٢ وما بعدها

(2) لامانس، زياد بن أبيه RivistadegliStudiOrientali ٤/ ١٩١١- ١٩١٢، ص ٢٤٦

(3) إني أجعل "اتقوا" هنا- وفق نظريتي- ليست مشتقة دائماً من الجذر "وقي" بل أحياناً من الجذر "نقي" وهذا يعني- كما هو في العرف القبلي في جنوب الجزيرة هذه الأيام- : التطهير، وأظن أن هذا التأويل سيجعل المعنى هنا أفضل.

(4) تاج العروس، طبعة قديمة ١/ ٧٥٩

إن رواية المسلمين التقليدية عن تطور المقصورة معروف، لا يبدو لي بأن أحداً يحتاج بالضرورة أن يبحث عن التشابه في الكنائس المسيحية في سورية. ليس هناك شك في أن النبي صلى عند القبلة في نهاية المساحة المسقوفة في المسجد الأول في المدينة، أعني أنه ينبغي أن يكون قد صلى وسط الأعمدة التي تسند سقف المسجد، لذلك فإن موقف الإمام في الصلاة كان ثابتاً، وليس من الصعب أن يثبت نوع من القضبان المتصالبة، أو حاجز لربط هذه الأعمدة سوية، وهذا يشكل مقصورة.

وبتغيير بسيط تماماً، بهذا الابتداع الطفيف الذي عمل من قبل "معاوية" استطاع أن يجتذب معارضة العرب المحافظين الشديدي التدقيق في الجزئيات الذين يحتاجون إلى تجربة ومراس كي يدركوا بوضوح.

وهكذا فإني لا أرى في هذا الحديث مهاجمة للمحراب في معناه الأخير على أنه كوة الصلاة، بل على أنه استعمال للمقصورة أدخل من قبل معاوية في دمشق. إن الحديث ضد الأمويين من ناحية أن المقصورة استحدثت لتكون بدعة معاوية، حقاً! إنه أكثر الحكام "ديمقراطية" إلا أن العبادة في الواقع كانت شديدة المحافظة.

ومع أنها كلمة عربية قديمة، فإنها لم تكن بلا صلة وثيقة بالموضوع، ذلك أن المحراب لم يظهر في فهرس فنسنك **Wensinck** للحديث[1]، ومن هنا، فإن الاستنتاج يمكن أن يكون بأنه ليس له مغزى للعبادة.. يمكن أن يكون مصطلحاً فنياً فقط في مفردات فن العمارة.

يتحدث "ابن قيس الرقيات"[2] في بيت يخاطب فيه الخليفة الأموي "عبد الملك بن مروان" عن دار خربة أصبحت مهجورة: "كما أقوت محاريب دارس الأمم". ربما كانت هذه "كليشة" في أسلوبه، لأنها قد جاءت في ديوانه مرة أخرى[3]، ويجيء الشرح: "المحاريب: مساجد- أماكن السجود- مصنوعة من حجارة منقورة ومنصوبة على وجه الأرض، ولذلك فإنها تبقى، وهي نصائب. يقرر "التاج"[4]: إن المساجد حجارة تنصب حول الكعبة، يهل عليها، ويذبح.

ويجيء تعريف آخر بأنها: "حجارة منصوبة حول حوض" والفراغات بين هذه الأحجار المنصوبة من طين اللبن. إن هذا

---

(1) **A.J. Wensinck, Concordance de la Tradition musulmane, Leiden, 1936**

(2) رودو كناكس، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، وين ١٩٠٢ ص ٧٤

(3) المصدر السابق ص ٢٢٢

(4) تاج العروس، الطبعة السابقة ١/ ٤٨٦

النوع من البناء شائع في الجزيرة العربية، ومن الشرح سيدرك بسهولة أن المحراب بمعنى النصائب يجيء قريباً جداً من الاستعمال الحضرمي، والنصبة: تعني أيضاً سارية، أو عموداً.

إن ربط الضحية بالمحراب هو تذكير بتقديم الأضاحي، عند الأعمدة ومن أجلها، أو عند الحجارة. وهذا يشكل كذلك جزءاً من شعيرة قديمة عن العيد ما زالت حية حتى الآن في حضر موت، وسيأتي وصفها بتفصيل تام في دراسة على وشك الظهور في هذا الموضوع.

إن الصورة الشعرية الدائمة هي الدمية في المحراب، وهي على ما يظهر "كليشة" لتعبير شعري عام شائع في الجزيرة العربية. وإضافة إلى ما أقتبس من "التاج"، هناك دمية الأعشى: "دمية في محراب تدمر". يقول عمرو بن أبي ربيعة:

دمية عند راهب ذي اجتهاد   صوروها في جانب المحراب[1]

إني أوثر هنا أن آخذ بنظر الاعتبار كل المعاني على أنها عرضية لمعنى المحراب الأساسي، مثل صف من الأعمدة مع المسافات التي تتخلله، فمن هذا المعنى الأساسي يمكن للمرء أن يرجع المحراب على أنه "كوة" ولكن الأرجح أنه جانب من صومعة

(1) المبرد: الكامل، ط أحمد محمد شاكر، القاهرة ٣٧– ١٩٥٦، ٢/ ٦٠٧. عبارة "في جانب" قابلة لأكثر من تفسير، قارن طبعة رايت ص ٣٧٨

المتعبد، أو جانب المذبح، بمعنى حائط موصول بأعمدة، أو بفهم بسيط للبيت، فإنه ينسب للأعمدة مع الدمية المنصوبة بينهما. هذا النمط من التزيين كان تقليداً فنياً شائعاً جداً في جنوب الجزيرة نفسها قبل الإسلام، كما نعرف من نقش هومبرجتكون Hombrechtikon الذي نشره البروفيسور هونيمانHoneyman، الأصل الذي يظن أن يكون إقليم مأرب[١].

ذلك أن الدمية كانت رمزاً فضلاً عن كونها صورة، يمكن أن تتضح من بيت لعدي ابن زيد[٢]:

كدمي العاج في المحاريب

ولنعد إلى تدمر أيضاً، إنها بالطبع غنية بصفوف من الأعمدة، سواء أكانت أعمدتها مسقوفة أم الرواق المهيب لمعبد الشمس نفسه.

يقتبس لاندبيركLandberg[٣] بيتاً من ديوان "قيس بن الخطيم" حيث يصف اليهود- وقد جلبوا البهار والطيب-إلى قبة

---

(١)نقش هومبرجتكون، العراق ١٦، ١، ١٩٥٤، ص ٢٣- ٢٨. ربما كان هذا النقش يمثل رقصة عبد الهيكل في بعض الاحتفالات الدينية، وذكراً ناذراً نفسه للهيكل وقد عرى نفسه في نشوة دينية.

(٢) الكامل، المذكور أعلاه ٢/ ٧٦٧، ط رايت ص ٤٦٠

(٣) Gloss, dat, 394

دوين السماء بمحرابها.

ولعلي أميل إلى أن أرجع هذه إلى: "خيمة مع محرابها" ففي الواقع يمكن أن يقال: أن الخيمة البدوية تشبه القبة، وربما يكون هذا مناسباً كما تأكد من رسوم كولونيل دكسون **colonel Dickson**[(١)]، أن شكل الخيمة الذي وضحه بالصور يجب أن يكون في أقصى الجنوب من بيحان، أما محراب "قيس بن الخطيم" فإني أفهمه على أنه جهة مفتوحة من الخيمة مع صف من أعمدة الخيمة، وقد يفكر أحد بعد ذلك في أصناف البضائع المنتشرة خارجاً أمام الخيمة، ولهذا فإن "إلى" استعملت لتعبر عن موقفهم، بينما صاحب البضائع يجلس في الظل فعلاً داخل الخيمة.

لقد ناقش لاندبيرك**Landberg** كذلك فرضية رودو كناكس **Rhodokanakis** في ربط المحراب بالحربة، ومع ذلك فإني لا أستطيع أن أشعر بأن المحراب متصل مباشرة بسنة الرسول في استعمال الحربة كسترة، كما هو مدون في الأحاديث التي استشهد بها البخاري وآخرون.

[(١)] دكسون، عرب الصحراء، لندن ١٩٤٩، ٦٨– ٦٩. القماش الناتئ فوق قطب الخيمة من الممكن أن يقارن مع القبة، أو العكس بالعكس، أن القبة ينبغي أن تقارن بالجزء الناتئ من الخيمة.

ربما كان استعمال الحربة في الأمصار المفتوحة لتعيين الوقت أو الاتجاه بالنسبة للشمس، فإن أحداً يتحدث اليوم بكل اعتداد عن ارتفاع الشمس قدر رمح، ومن ناحية أخرى ففي البلاد الإسلامية يمكن أن يحتفظ بأثر العبادة حيث يضحي عند الأعمدة والحجارة المنصوبة، مجرداً من أي أثر أو مغزى إسلامي. إن ربط المحراب بالحربة شيء جذاب من مختلف الوجوه، لأن السهم ما زال مستعملاً ليدل على العمود في حضر موت، وبالتأكيد فإن الخيمة البدوية الواطئة الطويلة تعلق على سلسلة من الأعمدة ليست بعيدة جداً من صف الحراب.

وحتى الآن لم أناقش الفرضيات التي اقترحها محمود الغول[1]. ربما كانت كلمة "تحربت"- المذكورة آنفاً- الجاهلية، مشتقة من صيغةمن الحذر "حرب" وأريد المعنى الأساسي في نصب الحراب أو صفالحراب، وبعد، فيمكن أن يطلق على صف الأعمدة أو البناء الذي كانوا يستعملونه.

يقترح البروفيسور بيستونBeeston- إضافة إلى ذلك- أن الكلمة يمكن أن تكون مساوية جداً للشكل "تحرابة"[2]، ومن

---

[1]انظر ص ٦ هامش ١

[2] الملاحظة السابقة نفسها

الممكن أيضاً أن تكون هناك علاقة اشتقاق صرفي مع كلمة "رحبة" المستعملة في ساحة المسجد[١] أو البيت.

المحراب والقبلة:

بقي أن نوضح الطريقة التي بها أصبح المحراب مشتركاً مع كوة الصلاة: المحراب على ما يظهر يمكن أن يعني: مكان جلوس ذو أعمدة، مفتوحاً من جانب واحد، مسلطاً عليه شيء بارز فوق مستوى الأرض الاعتيادية، أينما كان حالياً وصف على أنه مرتفع إني أميل إلى الظن بأنه يماثل نوعاً من الرواق ذي الأعمدة، وهو شائع جداً في البيوت الحضرمية الكبيرة، يتقدم الدور العلوي، أو على السقف، مكوناً جانباً واحداً من فناء صغير. هذا البناء الذي يجب أن يكون مألوفاً لكل زوار القطر، ويمكن أن يرى مثال لذلك في قصر السلطان السابق علي في قطن، مع أن هذا ربما لم يكن أكثر تميزا[٢].

يقارن لاندبيرك Landberg المحراب بـ "ليوان" دمشق، وفي تدمر Palmyra منذ سنوات قليلة سعيدة مضت، جلست في

---

[١] تاج العروس، يشير إلى علي وهو جالس في رحبة مسجد الكوفة، وهي صحته، قارن ابن سمورة: طبقات فقهاء اليمن، ط فؤاد السيد، القاهرة ١٩٥٧ ص ٣٦

[٢] D. vanMeulen, Aden to the Hadramaut, London 1947, illustration, No. 61.

بيت بدوي يشبه تماماً الليوان، ولكنه لم يكن ذا أعمدة. إن بيتاً[١] من الشعر القديم يعزز هذا المشهد:

كعقيلة الدر استضاء بها   محراب عرش عزيزها العجم

إن المرء ليتذكر حالاً المدائن **Ctesiphon**.

إن العربي العادي مهما كان، لا يستطيع أن يبذل الكثير في بناء مشيد، وبدلاً من ترف مثل محراب– ليوان، فإنه يقنع عادة أن يجلس في ظل بيته، ويقضي الأمسية على دكته. إن محاريب قدماء الأرستوقراطيين العرب ربما كانت جيدة في التنويه بالمباني المطلة على المناظر الرائعة، والأروقة ذوات الأعمدة في مدخلها، مع تلك القصور ذوات السقوف المتوجة، كذلك حين يتحدث "ابن هشام" "وأبو نواس"[٢] عن عطر– مسك– محاريب صنعاء[٣] فإن حجر الاستقبال والأروقة تكون مقصودة. يقتبس ابن المجاور[٤] قول ابن دريد:

واحتل من غمدان محراب الدماء

([١])المفضليات، ط سير جيميس لايل. أو كسفورد، ١٩٢١، ص ٢١٣. الترجمة، أوكسفورد ١٩١٨ ص ٧٥

([٢])مقتبس من قاموس داطينوس، ٣٩٥

([٣]) قارن غليوم: حياة محمد ١٩٥٥، ٣٢

([٤]) ابن المجاور، المصدر السابق ٢/ ١٨٢

من الصعوبة أن يفسر البيت حرفياً كما فعلت: "محراب الدماء" هو بلا شك المكان المحبب الذي اعتادت النساء جميعهن أن يلتقين فيه. غالباً ما يكون جناحهن من البيت في قصور الأسر الارستقراطية في الطابق العلوي، مع مدخل إلى جناحهن الخاص من الطابق العلوي الذي بلا شك هو محرابهن. إن الإشارة إلى المسك قد تكون إشارة غير مباشرة إلى النساء، لأنه مما يسترعي الانتباه أن تكون الإشارة إلى المحراب أحياناً مرتبطة بذكر العطر، ومن المحتمل كذلك في الأقل أن تكون الإشارة إلى ولع اليمنيين بالعطور والبخور، ففي الطوابق العليا والأجزاء الأخرى من البيت غالباً ما ترى مجامر البخور موضوعة مصادفة.

لقد أظهر رائجنس وفون وسمن**Rathjens and vonWissman**[1] إعادة بناء ضريح حقة **Hugga** في اليمن الأعلى (الشكل ٢): إنه يتكون من ساحة، محاطة من جميع جوانبها برواق ذي أعمدة، مع قاعة تشبه– في قليل أو كثير– نظام الحمام الحضرمي نفسه، أمام هذا الحمام– الذي كان فيما قبل الإسلام– رواقاً ذا أعمدة، مرتفعاً قليلاً فوق الساحة، حيث ينتهي بممر من مجموعة متواصلة من درجات السلم. وهذا متفق تماماً مع الوصف الذي جاء عن "عروة بن مسعود"

---

(١) **VorislamischeAltertumer.. Sudaravien- Reise, Hamburg, 1932, 11, 65**

في قطعة مقتبسة من التاج المذكور سابقاً- عن أداء الأذان.

يجب أن يلاحظ بأن رسم ضريح الحقة، هو رسم مسجد النبي ﷺ في المدينة[1]، ورسوم المساجد الإسلامية الأولى، كما أظهرها سوفاجية[2]، وهي مطابقة أساساً مع المسجد الحضرمي التقليدي، أعني ساحة مع جزء ذي أعمدة للصلاة في جهة القبلة. وينبغي أن يقارن هذا مرة أخرى مع رسم الجامع الأكبر في صنعاء، والمعروف أنه كان قد بني في زمن النبي ﷺ[3].

والنتيجة بإيجاز: أن المعنى الأصلي للمحراب هو صف من الأعمدة.

وكان يطلب في إنشاء الأبنية- وحتى قبل الإسلام- أن تشتمل على صفوف من الأعمدة راسخة، مشيدة على قاعدة مربعة، مثل هيئة القلاع والقصور، تكون متماثلة ومستوية مع

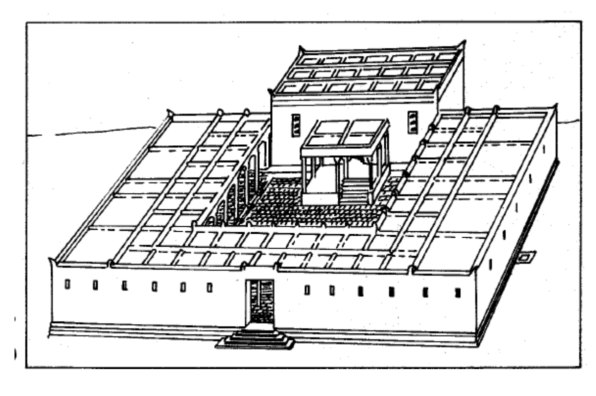
---

[1] سوفاجيه، قارن السابق ص ٩٤ "خطط القرن الخامس عشر" ٩٠

[2] قارن السابق ص ١٠٩

[3] انظر الخريطة التي وضعها رائجنس وفون وسمن، ملحقة بمصورات هوج سكوت **Hugh Scott** "في أعلى اليمن" لندن ١٩٤٢ ص ١٢٧. ابن رسته، كتال الأعلاق النفسية ط. دي غويه، ليدن ١٨٩٢ ٧/ ١١٠، يخبر بأنه كان قد بني قبل الإسلام، في موضع ضريح- كما يظن- وأن هذا المسجد الجامع كان قد شيد بأمر من حواري الله **"Apostle of God"** قرب جدران صنعاء، مقابل عمدان، من الصخر والجص في موضع المحراب قبر من قبور الأنبياء.

بعضها. لقد اقترح بأنه خلال العصر الأموي- بينما الضريح في حقه[1] في اليمن وفق رائجنس وفون وسمن- لا يرى في السطح مجرى تصريف المياه، لكن من المرجح أن المزراب ينبغي أن يكون مجهزاً. يستذكر معانيها الأخرى- فإنه كان الاسم الذي أطلق على المقصورة حيث أعطى حالاً. هيئة معينة في الخريطة تجاه حائط القبلة، لكن من المحتمل أن المحراب كان فيه من قبل شيء من فكرة المقصورة.



شكل (٢)

---

(١) حقه همدان، بالقاف: قرية معروفة في الناحية الشمالية من صنعاي، على مسافة خمسة وعشرين كيلو متر ٢ تقريباً، وجرت فيها منذ خمسين عاماً حفريات أثرية قام بها العالمان الألمانيان كارل وايثجنس وفون فمان سنة ٣١- ١٩٣٢، وأبحاثهما عنها منشورة في الجزء الثاني من كتابهما المكون من ثلاثة مجلدات باللغة الألمانية.

VorIslamischeAltertumer Von Carl Rathjens und Hermann Von Wissmann Band 2

أفادني بهذه المعلومة مشكوراً أخي الباحث الأستاذ/ إسماعيل على الأكوع مدير الهيئة العامة للآثار ودور الكتب في صنعاء. "المترجم"

(ضريح حقه)

إني أشعر بميل إلى أن أرى في تطوره الأخير في كلمة "كوة القبلة" اشتقاقاً مباشراً من مغزاه الأساسي، على أنه صف من الأعمدة، لأن المخطط يظهر الأعمدة في جدار القبلة من مسجد النبي ﷺ، لكن ربما يمكن أن يتصور تماماً أن معنى الاسم الأخير قد تطور من قربه من المحراب بمعنى مقصورة موقف الإمام.

وكتذييل أود أن أقتبس قطعة من شهادة غير مباشرة حيث تبدو أنها تشير إلى أن المحراب بمعنى المقصورة كان مستعملاً من قبل "المهدية" في السودان. إن الترجمة الإنكليزية لمذكرات سلتين **(Slatin's memoirs)** [١] تشير إلى الصلوات اليومية الخمس، فهو يقرر أن: "لكل تلك الأوقات، الخليفة يحضر في محرابه، حيث يقوم على الفور أمام صفوف المؤمنين: إنه بناء على هيئة مربع، مؤلف من سلسلة من الأعمدة مرتبط بأجزاء حديدية مكشوفة، ومن خلاله يستطيع أن يرى كل ما يجري حوله".

([١]) رودولف سي. سلتين، "النار والسيف في السودان" ترجمة ف. ر. و نكيت **F. R. Wingate** لندن ١٨٩٧ ص ٣٢٠. إنها تبدو وكأنها "كوة" هو بالأحرى تفسير خاطئ غير بارع من المترجم عن الذي وصفه سلتين إنه بوضوح ليس كوة محراب، ولكنه نوع من المقصورة.

ملاحظة إضافية:

وفضلاً عن ذلك، فإن "محمود الغول" قد نبهني إلى فقرة في "المحلي" لعلي بن أحمد ابن حزم "ط القاهرة ١٣٤٨ هـ، ٤/ ٣٣٩" حيث يقرر: أن المحاريب هي بدع ليست معروفة لدى النبي ﷺ[١].

ويظهر من النص أنه يفهم "المحراب" على أنه شيء يشبه المقصورة[٢].

---

(١) المسألة رقم ٤٩٧– المحلي لابن حزم– ٤، ص ٣٣٩ ط القاهرة سنة ١٣٨٧هـ

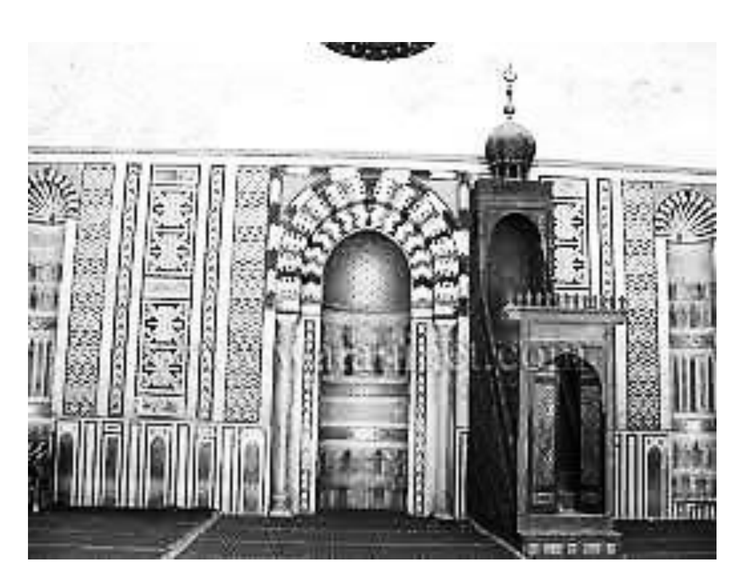
(٢) نشر هذا البحث في: مجلة الدراسات الشرقية الأفريقية لجامعة لندن المجلد ٢٢ سنة ١٩٥٩ ص ٤٣٩– ٤٥٣

R, B, Serjeant: MIHRAB
Bulletin of school of Oriental and African Studies, University of London
Volume XXII 1959 PP. 439- 453

المحراب.. ولغة الإبداع في العمارة الإسلامية

عمرو اسماعيل

إن للمحاريب دورًا عظيمًا في تاريخ الفن المعماري الإسلامي وتجلت بصورة مذهلة لا تخطئها العين أينما ذهبت؛ حيث نرى البناة يعنون بالمحاريب في المساجد حتى أفردوا لها زخرفة لتمييزها عن بقية أجزاء المسجد وقاموابيناء هذه المحاريبلتكون في غاية البساطة لسبب من الأسباب، كالاقتصاد في النفقات.



(شكل ١)

يعد «المحراب» أحد الفنون المتعلقةبعمارة المساجد كجزء

أصيل خضع خلال العصور الإسلامية للعديد من التغيرات والتطورات. يحمل وظيفة أكرم موضع في المسجد ويحدد اتجاه القبلة للصلاة.

فالمحراب بالنسبة للمسجد هو مقام الإمام وموضع انفراده به والتخطيط الأول لجامع عمرو بن العاص لم يكن به محراب.وقدأُضيف المحراب للجامع أثناء الزيادة التي قام بها الوالي الأموي"قرة بن شريك" وكان محرابًا غائرًا في جدار القبلة.

المحراب عنصر من عناصر العمارة الإسلامية ويتواجد كثيرًا في المساجد والجوامع والزوايا والمدارس وهو التجويف أو الحنية الموجودة في حائط القبلة. وقد قيل إنه الغرفة أو الموضع العالي، صدر البيت، أرفع مكان في المسجد، أشرف الأماكن، أشرف المجالس. وأُطلق عليه أيضًا اسم «القبلة».

المحراب لا يتسع إلا لشخص واحد هو الإمام ويؤدي فيه الصلاة خلال وقت الذروة وفي الأعياد والمواسم، فيكون وجود الإمام داخل تجويف المحراب مانحًا فرصة لتكوين صف كامل من المصلين ما يوفر في المكان.أما في الأحوال العادية، فإن الإمام غالبًا يقف بعيدًا عنه؛ليعطي انطباعًا بأن عمل المحراب لا يزيد عن

كونه علامة لتحديد اتجاه الصلاة ليس أكثر، وبذلك يعتبر هذا العمل الرئيس والوحيد للمحراب.

يُقال عنه أيضًا إنه كوَّة أو منطقة داخلة في حائط القبلة وذهب البعض من غير المسلمين إلى القول إنه لوضع تمثال أو زينة وأنه مكان مناسب وموضع لائق لذلك، ويقال عنه محراب Mihrab ويقال دخلة– بفتح الدال واللام وسكون الخاء– Alcove.

وقال عنه الشيخ الإمام مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، رحمه الله، في مختار الصحاح،إن المحراب هو صدر المجلس ومنه محراب المسجد. وقيل أيضا إنه الغُرفة (مختار الصحاح– ص ١٢٨ مادة ح ر ب). أماأحمد بن علي المقري الفيومي المتوفي عام ٧٧٠ هـ، فقال إنه صدر المجلس ويُقال أشرف المجالس، حيث يجلس الملوك والسادة والعظماء ومنه محراب المُصلى. ويقالإن محراب المصلى مأخوذ من المحاربة؛ لأن المُصلي يحارب الشيطان ويحارب نفسه باستحضار قلبه ولفظ المحراب يطلق على الغرفة. قيل أيضًا إن محراب المسجد مقام الإمام.

المحراب في اللغة:

قال ابن الأثير: المحراب هو الموضع العالي المشّرف. وقال ابن منظور في لسان العرب، مادة حَرَبَ، والمِحْرابُ: صَدْرُ البَيْتِ وأَكْرَمُ مَوْضِعٍ فيه، والجمع المَحارِيبُ. وقال أَبو حنيفة: المِحْرابُ أَكْرَمُ مجالِس المُلوكِ. وقال أَبو عبيدة: المِحْرابُ سَيِّدُ المَجالِس ومُقَدَّمُها وأَشْرَفُها. قال: وكذلك هو من المساجد.

هذا أصلُ معنى الكَلمة، ثمَّ استُعمِلَ عُرفًا لمحالِّ العِبادَةِ ودُورِها عُمومًا؛ إذ هي أشرفُ الأماكِنِ في البَلدِ وخُصَّ مِحرابُ الإمام بعدَ ذلك بِالاسمِ؛ لأنَّه صَدرُ المسجدِ وقِبلته وأشرف مكانٍ فيه.

وقد ذكروا تأويلات أخرى لهذه التسمية:

فقالوا: المحاريبُ: أكرمُ مجالسِ الملوكِ، وهي القُصورُ. ومنه قوله تعالى: يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ، قيلَ: هي القصور.

قالوا: والمحرابُ الموضع الذي يَنفَرد به المَلِكُ، فيتباعَدُ عن النَّاسِ ومنهُ سُمِّيَ المحرابُ محرابًا؛ لانفرادِ الإمام به وبُعدِه عن النَّاسِ.ومنهُ يُقالُ: فُلانٌ حَربٌ لِفُلانٍ، إذا كان بينَهما تباعد.

وقالوا: المحراب مأوى الأسد وعرينه. يقال: دَخلَ فُلانٌ على

الأسدِ في محرابِه وغِيلِه وعَرينِه.قالوا: ومنه سُمِّيَ المحرابُ محرابًا؛ لأن الإمام إذا قام فيه لم يَأمَنْ أَن يَلحَنَ أو يُخطِئَ، فهو خائف مَكانًا، كأنه مَأوى الأسد.

وهو عبارة عن تجويف غير نافذ في وسط جدار القبلة يقف الإمام فيه أو أمامه متجهًا للقبلة. فهو نتوء في منتصف جدار المسجد المواجه للقبلة يدل على اتجاهها.ويكون المحراب عادة على شكل طاقة نصف دائرية أو مضلعة مجوفة تسع أن يقف فيها رجل.

قال ابن عاشور ـ رحمه الله ـ في تفسيره التحرير والتنوير: "والمحراب بناء يتخذه أحد ليخلو فيه بتعبده وصلاته وأكثر ما يتخذ في علو يرتقي إليه بسلم أو درج، وهو غير المسجد. وأطلق على غير ذلك إطلاقات على وجه التشبيه أو التوسع، كقول عمر بن أبي ربيعة:

دمية عند راهب قسـيس صوروهـا في مذبح المحراب.

أراد في مذبح البيعة لأن المحراب لا يجعل فيه مذبح.

وقيل: إن المحراب مشتق من الحرب؛ لأن المتعبد كأنه يحارب الشيطان فيه، فكأنهم جعلوا هذا المكان آلة لحرب الشيطان.

ثم أُطلق المحراب عند المسلمين كشكل نصف قبة في طول قامة ونصف يجعل بموضع القبلة ليقف فيه الإمام للصلاة، وهو إطلاق مُوَلَّد.

وأول محراب في الإسلام، محراب مسجد الرسول ﷺ، أُنشأ في خلافة الوليد بن عبد الملك مدة إمارة عمر بن عبد العزيز على المدينة.

وقال ابن عطية، رحمه الله، في تفسيره: "والمحراب هو المبنى الحسن كالغرف والعلالي ونحوه، ومحراب القصر أشرف مكان فيه. ولذلك قيل لأشرف ما في المصلى–وهو موقف الإمام– محراب".

وقال ابن منظور – رحمه الله –في لسان العرب: "والمحراب: القبلة. ومحراب المسجد أيضًا صدره وأشرف موضع فيه ومحاريب بني إسرائيل مساجدهم التي كانوا يجلسون فيها". وفي التهذيب: التي يجتمعون فيها للصلاة".

وقال أيضًا رحمه الله: "وقيل: سُمي المحراب محرابًا لأن الإمام إذا قام فيه لم يأمن أن يلحن أو يخطئ، فهو خائف مكانًا كأنه مأوى الأسد، والمحراب مأوى الأسد. يقال: دخل فلان على الأسد في محرابه وغيله وعرينه".

أما بالنسبة لاسم الجزء الذي يصلي فيه الإمام، فأصبح متعارفًا عليه باسم "المحراب". وإلى ذلك أشار ابن عاشور كما نقلنا عنه سابقًا.

وفي الأصل كان يقال عنه: مصلى الإمام–أي مكان صلاته– كما جاء ذلك في حديث أبي هريرة ﷺ، قال: أُقيمت الصلاة وعدلت الصفوف قيامًا قبل أن يخرج إلينا النبي صلى الله عليه وسلم، فخرج إلينا.فلما قام في مُصلاه ذكر أنه جنب، وقال لنا: مكانكم. فمكثنا على هيئتنا–يعني قيامًا– ثم رجع فاغتسل ثم خرج إلينا ورأسه يقطر، فكبر فصلينا معه". والحديث متفق عليه، والشاهد منه أن أبا هريرة ﷺ عبَّر عن موقف النبي ﷺ وهو إمام القوم بقوله: "فلما قام في مُصلاه".هذا مجمل ما ذكره أهل العلم عن المحراب والله أعلم.

المحراب في القرآن:

ذكر المحراب في القرآن الكريم في أكثر من موضع، فهو مكان للصلاة الفردية.كما جاء في سورة آل عمران. قال تعالى: "وهو قائم يصلي في المحراب"،وقوله أيضًا:"كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ". والمحراب بناء يتخذه أحد ليخلو فيه بتعبده وصلاته وأكثر ما يتخذ في علو يرتقي إليه بسلم أو درج، وهو غير

المسجد.

وتعددت الآراء بشأن الحكمة من المحراب المجوف؛ منها أنه يفيد في تعيين اتجاه القبلة وتحديد مكان الإمام عند الصلاة ويساعد على تجميع صوته وتكبيره وإيصاله للمصلين، لا سيما قبل اختراع مكبرات الصوت.

كماوردت كلمة "المحراب" في القرآن أربع مرات ووردت "المحاريب" مرة واحدة. وكلمة "المحراب" كلمة عربية قديمة وردت في معاجم اللغة في مادة "حرب". ومن معانيها:صدر المجلس ومنه محراب المسجد، والمحراب أيضًا الغرفة، ومنه قوله سبحانه: "فخرج على قومه من المحراب".قيل من المسجد، وكان ورودها في كتاب الله بمدلولاتها القديمة حيث تعني كلمة محراب "الغرفة العالية أو المستقلة أو أفضل مكان في القصر أو البيت"، وتعارف العلماء على إطلاق كلمة "المحراب" على جدار القبلة.وقد استعمل رسول الله ﷺ الحربة في تحديد اتجاه القبلة أثناء الصلاة في الفضاء. ولم تعرف الكلمة بمعناها المعروف اليوم إلا بعد انتشار الإسلام شرقًا وغربًا، وباتت هناك حاجة مُلحة لتحديد اتجاه القبلة التي أمر الله تعالى عباده بالاتجاه إليها في صلواتهم، ويروى في هذا الشأن أنه عندما أعاد والي المدينة المنورة عمر بن عبد العزيز بناء المسجد

النبوي الشريف، دعا علماء المدينة ورجالها لتحديد مكان القبلة في البنيان الجديد، قائلًا:"تعالوا أحضروا بنيان قبلتكم لا تقولوا غيَّر عمر قبلتنا". وحين بنى عمرو بن العاص مسجده الذي سماه مسجد الفتح في الفسطاط "القاهرة القديمة"، شارك ثمانون رجلًا من صحابة رسول الله ﷺ في تحديد مكان القبلة.

بعد أن أصبح المحراب جزءًا أساسيًّا في عمران المساجد، استقر معنى كلمة "المحراب" على أنها تجويف في جدار المسجد باتجاه الكعبة المشرفة. وتلاشى استعمال الكلمة في غير هذا المعنى عدا ما ورد في القرآن الكريم ولا يعرف بالتحديد من كان أول من أنشأ المحراب في المسجد؛ فهناك أقوال تنسب ذلك إلى الخليفة الثالث عثمان بن عفان- رضي الله عنه- وأخرى تنسبه إلى الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان، وهناك أقوال تنسبه إلى آخرين.وقد يفسر تعدد الروايات هذا بأن كلمة "المحراب" استخدمت بمعان عديدة؛ مما لا يمكن معه التأكد إذا كان المقصود "المحراب" كما هو متعارف اليوم أو أن المقصود شيئًا آخر. على أن تحديد القبلة كان أهم ما وجه بناة المساجد إليه في مختلف الأقطار التي دخلت الإسلام، وكان بناة المساجد يكتفون بوضع علامة على الجدار المتجه نحو القبلة أو بدهان جزء من الجدار بلون مميز أو وضع بلاطة وبذلك

يقف الإمام إزاء الجدار ويؤدي الصلاة.أما تجويف مكان المحراب في الجدار المتجه نحو القبلة، فأغلب الظن أن أول من نفذه والي المدينة المنورة عمر بن عبد العزيز عندما أعاد بناء المسجد النبوي في خلافة الوليد بن عبدالملك. وقد استأثر "المحراب" باهتمام بناة المساجد من الخلفاء والملوك والسلاطين والأمراء والولاة في سياق عمارة المساجد؛ حتى اشتهرت محاريب معينة في التراث المعماري الإسلامي تنسب إلى من أنشأها أو أُنشئت في عهدهم.

تعتبر المحاريب والمنابر من أهم عناصر المساجد الأساسية على اختلاف طُرُزها وأحجامها. وقد أولى المعمار والفنان المسلم اهتمامًا كبيرًا لهذين العنصرين من ناحية التصميم والزخرفة والتزيين واستخدام المواد التي تعطي الإحساس بالفخامة والجمال،مثل استخدام الرخام الملون أوالخشب المزخرف في تصميم هذين العنصرين، وبخاصة أنهما دائمًا يقعان في مرمى بصر المصلين لوجودهما في حائط قبلة المسجد.

ولاشك في أن الاهتمام بهذين العنصرين المتلازمين يزيد من التكلفة المادية لبناء المسجد، وهو لايشكل أي مشكلة في حالة المساجد الكبرى التي يتم رصد المبالغ الطائلة لتنفيذها، وخصوصًا من الجهات الرسمية بالدول الإسلامية.لكن تظهر مشكلة التمويل

المادي في المساجد الصغيرة والتي تبنى في البلاد الإسلامية بجمع التبرعات المالية من بعض المسلمين وأهل الخير.وهنا تظهر إشكالية عدم التنازل عن إخراج هذين العنصرين بصورة جمالية لائقة مع أقل تكلفة ممكنة.

الواجب في المحاريب بالمساجد الحالية:

يكتفي بتسمية الجدار جهة القبلة بالكتابة أو بوضع رمز البيت الحرام على الجدار ويترك النتوء كما في المساجد الحالية.

هل المحراب النتوئي كان موجودًا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم؟

طبقًا لما ورد في كتب التاريخ والسير، لم يكن موجودًا في عهد النبي ﷺ وبعضهم ينسب لعثمان بن عفان أنه أول من اتخذه.وبعضهم قال عمر بن عبد العزيز، وقال بعضهم إن أول مسجد كان فيه النتوء مسجد عقبة بن نافع – رضي الله عنه – بالقيروان.

المحراب النتوئي:

يبدو أن من صنعوه كانوا يريدون توفير مساحة صف؛ حيث يكون الإمام وحده داخل نتوء الجدار.فالمحراب إذًا لم يكن موجودًا زمن النبي ﷺ، وإنما أنشأه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في خلافة

الوليد بن عبد الملك، وهو أول محراب أنشئ في الإسلام ووضع في مسجد النبي ﷺ، وبذلك يكون أول من أحدثه في المسجد النبوي عمر بن عبد العزيز، في خلافة الوليد بن عبد الملك للمسجد النبوي عام (٨٨- ٩١هـ).

وهذا لا يعني أن المسجد النبوي أول مسجد يقام فيه المحراب؛ فمن المعروف أن عبدالملك بن مروان أنشأ مسجد قبة الصخرة الذي أُنجز بناؤه عام ٧٢هـ وأنشأ في جداره الجنوبي محرابًا.ولعل الذي دعاهم إلى إنشائه؛لتحديد مكان الإمام وفي الوقت نفسه لبيان جدار القبلة.

وفائدة ثانية، أمكن التوصل إليها فيما بعد؛ وهي تضخيم صوت الإمام بحيث يصل للمصلين جميعهم، حتى ولو كان المسجد واسعًا، اعتمادًا على دراسة الصوت وانعكاسه وضبط انحناء المحراب بمقاييس مقدرة. ومن المحاريب التي كانت تؤدي هذه المهمة محراب جامع قرطبة.

إذًا، فقد كان وجود المحراب تلبية لأكثر من حاجة، وقال كروزويل عندما تكلم عن أصل كلمة محراب: (وردت هذه الكلمة في أشعار العرب قديمًا، غير أنها لم يكن لها معنى ديني في تلك

الأيام، بل كانت تدل على أشياء دنيوية). ويرى نولدكه أنها كانت تعني بناء الملك أو الأمير. والمستشرق النمساوي رودوكوناكيس عندما حقق أصل كلمة المحراب، قال إن المحراب هو الجزء أو المكان الذي يكون في قصر الملك ويخصص لوضع العرش فيه. كما في قصر عميرة مثلًا.

الحكمة من بناء المحراب:

المحراب يعتبر عنصرًا معماريًّا مهمًّا ابتكره المسلمون لتحديد اتجاه القبلة في المساجد والزواياوالمدارس ووقوف الإمام فيه أثناء الصلاة ليوفر صفًّا كاملًا للمصلين.كما للمحراب فائدة أخرى وهي تضخيم صوت الإمام أثناء الصلاة ليبلغ المصلين فيسمعوه، وتميز الإمام عن بقية المصلين.

نشأة وظهور المحراب:

الفكرة بسيطة جدًّا وتكمن في تمييز جدار القبلة كله أو جزء منه بمادة معمارية مخالفة عن باقيحوائط المسجد.والمحراب في المسجد يكون على شكل نصف إسطوانة تغطيها نصف قبة تسمى (خوذة) ويكتنف المحراب عادة عمودان والجزء الذي يعلو تاج العمود مباشرة يسمى صدر ويسمى الحائطان على جانبي

المحراب (أكتاف المحراب).أما قواعد وتيجان العواميد فتُسمى (قواعد).

وأول محراب في الإسلام كان ببيت النبي ﷺ في مصلاه الخاص، أما أول من وضع المحراب في المسجد الخليفة عثمان بن عفان؛لتعيين اتجاه القبلة وتحديد مكان وقوف الإمام في صلاة الجماعة، وذلك في المسجد النبوي بالمدينة المنورة.

وربما كان محراب عثمان مجرد علامة في الجدار، فقد اتفق المؤرخون على أن أول من أدخل المحراب المجوف في المسجد هو عمر بن عبد العزيز، وذلك أثناء ولايته على المدينة المنورة أيام الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك. فإن السمهودي في كتابه "وفاء الوفا بأخبار المصطفي" يقول: (لما صار عمر بن عبد العزيز إلى جدار القبلة، دعا مشيخة من أهل المدينة من قريش والأنصار والعرب والموالي، فقال لهم: تعالوا احضروا بنيان قبلتكم لا تقولوا غَيَّرَ عمرُ قبلتنا. فجعل لا ينزع حجرًا إلا وضع مكانه حجرًا).

وهناك من ذهب برأيه من الباحثين إلى أن أول محراب أنشئ في الإسلام محراب عقبة بن نافع في مدينة القيروان، ويقول الكاتب المذكور: وقد أجمع المؤرخون أنه في سنة خمسين للهجرة، خط عقبة

بن نافع (فاتح المغرب) مسجد القيروان وأبان مكان القبلة منه وأقام محرابه فيه. وهذا المحراب ظل طوال السنين موضع إجلال القوم وتقديسهم، فلم يمسه أحد بسوء، حتى أنه لما ارتد زيادة الله (ابن الأغلب) هدمه وألحَّ في ذلك، لم يُجِبْهُ أحد إليه وحِيلَ بينه وبين هدمه لما كان قد وضعه عقبة بن نافع ومن معه.

كما يُنسب إلى ما قبل تجديد المسجد النبوي في عهد الوليد بن عبد الملك بنحو٥٣ عامًا، بناء المحراب المجوف في عمارة مسلمة بن مخلد بجامع عمرو بن العاص بفسطاط مصر عام (٥٣هـ- ٦٧٣م). أما من الناحية الأثرية، فإن أقدم محراب مجوف يوجد في الضلع الجنوبي من المثمن الخارجي لقبة الصخرة بالقدس الشريف ويعود عهد تشييده إلى خلافة عبد الملك بن مروان (٧٢هـ- ٦٩١م). وتشير بقايا العمائر الإسلامية في القرنين الأول والثاني للهجرة إلى أن المسلمين استعملوا المحاريب المجوفة ذات المسقط المتعامد الأضلاع، وخصوصًا في شرق العالم الإسلامي خلال العصر العباسي، كما في محراب مسجد قصر الأخيضر ومحراب أقدم مساجد أرض فارس «طريق خانة»، إلا أن النموذج الغالب كان للمحراب المجوف ذي المسقط النصف دائري وكان في الشام.

جدلية الأصول المعمارية لعنصر المحراب في العمارة الإسلامية:

من أهم الإشكاليات التي تطرح في الدراسات الأثرية المتعلقة بالآثار الإسلامية، الأصول المعمارية للمحراب في العمارة الإسلامية؛ حيث شهد هذا الموضوع منذ فترة طويلة انقسامات حادة بين من يرى أن هذا العنصر جاء نتيجة مباشرة لتأثر المسلمين بما هو موجود في الكنائس المسيحية وبين من يُعارض بشدة هذا الرأي ويرى أن المحراب إبداع إسلامي خالص جاء ليلبي حاجات المسلمين عند ممارستهم لواحدة من أهم شعائرهم داخل المساجد وهي الصلاة. وإن كنا نلاحظ اختلافًا كبيرًا حتى بين أفراد هذا الرأي الأخير عند نقاشهم حول الوظيفة التي أريد للمحراب أن يؤديها في المسجد. ونتتبع هذا النقاش بداية من التعريف اللغوي للكلمة في العصور الجاهلية ثم في القرآن الكريم وكتب السيرة والحديث، والتي لم يكن في أي منها معنى لكلمة "محراب" مطابق لما هو معروف اليوم من الناحية الاصطلاحية. وفي صلب النقاش حول الأصول المعمارية لهذا العنصر، يبرز رأي بعض المستشرقين الذين قدموا مقارنات معمارية بين عنصري المحراب في المسجد والكنيسة، معتمدين على مجموعة من الروايات

التاريخية وما جاء في كتب السيرة والفقه؛مؤكدين أن المحراب جاء نتيجة لتأثر المسلمين بالكنائس المسيحية.وردًّا على هذا الرأي، نبرز آراء باحثين آخرين بمن فيهم مستشرقين تعارض هذا الطرح وتسعى لتقديم الأدلة الأثرية والعلمية الكافية لنفيه ولإثبات أن المحراب ابتكار إسلامي خالص.

وقد روَّجت بعض كتابات المستشرقين لمقولة إن المحراب المجوف اتخذ عن هياكل (مذابح) الكنائس القبطية في مصر.مشيرين في سياق ذلك إلى محراب مجوف عثر عليه في دير الأب هرميا بسقارة ونسب إلى القرن ٦م؛ مما يقطع من وجهة نظرهم بسبق الأقباط في إنشاء هذا النوع من المحاريب. ولاشكفي أن المستشرقين قصدوا من وراء ذلك حرمان العرب والمسلمين من أي فضل معماري أو فني في إنشاء مساجدهم ومبانيهم التي خلدها تاريخ العمارة. ومهما يكن من أمر تلك المزاعم، فإن الحنايا المجوفة التي يكون مسقطها الأفقي على شكل نصف الدائرة عرفت كعناصر زخرفية في العمائر الرومانية ومنها انتقلت للكنائس، فعملت الهياكل على هيئتها، ولكن بمساحات أكبر من التي نعهدها في المحاريب الإسلامية، حتى تتسع لرجال الدين القائمين بالصلاة بينما لا يكاد المحراب الإسلامي يتسع لإمام

الصلاة. وإلى أبعد من ذلك، فإن محراب دير الأب هرميا بسقارة لا يوجد ما يؤيد نسبته إلى الفترة السابقة على الإسلام ومن المرجح أنه ينسب إلى القرن ٧م أو ٨م؛ فيكون محرابه متأثرًا بالمحاريب الإسلامية وليس العكس. وفي وادي النطرون بمصر، مثال جيد للتأثر بعمارة المحراب الإسلامي نجده في محراب مجوف بكنيسة السيدة العذراء في دير السريان (القرن الثالث الهجري ٩م).

أما عن انتشار المحاريب المجوفة في العمارة الإسلامية، فقد بدأت منذ العصر الأموي ومن أهم أمثلتها: قبة الصخرة، حيث أثبتت الدراسات الأثرية الحديثة أن تاريخه لاحق على العصر الأموي. كما ظهرت المحاريب المجوفة في القصور الأموية، ومن أمثلتها: قصور الحلابات والطوبة والمشتى، كذلك انتشرت المحاريب في العصر العباسي.

أنواع المحاريب

أ- المحاريب المسطحة:

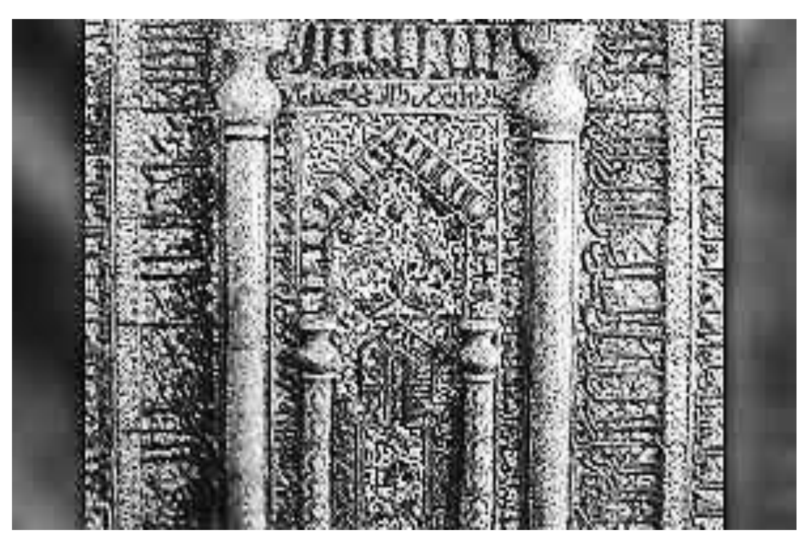
من المعروف أنه قبل ظهور المحراب المجوف، عرف المسجد نوعًا من المحراب المسطح الذي ظهر في جدار القبلة أشبه ما يكون بالباب الوهمي في ذلك الجدار والذي استمر في شكل المحراب

الجصي الذي ظهر في عمارة سامراء العباسية وبقي لنا منه عدد من النماذج في جامع أحمد بن طولون بالقاهرة، بعضها من العصر الفاطمي والبعض الآخر من العصر المملوكي.

ولذا، لم يكن غريبًا أن تذكر بعض النصوص وجود المحراب في جدار مسجد قباء أيام الرسول الكريم، وأن النبي صلى الله عليه وسلماستخدم لوحة خشبية تقف على أرجل خشبية تسمى العنزة لتحديد اتجاه القبلة كأنها محراب متنقل أو أن يكون جامع عمرو بمصر عرف المحراب منتصف القرن الأول الهجري أيام والي مصر مسلمة بن مخلد وكذلك الأمر بالنسبة لجامع القيروان.وأغلب الظن أن هذه المحاريب الأولى كانت من النوع المسطح.

أما أهم ما طرأ على بيت الصلاة في المسجد الأول فهو المحراب المجوف المخصص لوقوف الإمام في الصلاة والذي يحدد اتجاه الكعبة في منتصف جدار القبلة، والمعروف أن المسجد النبوي لم يكن يحوي محرابًا؛ إذ كان يكتفي بغرس سهم أو رمح في منتصف جدار القبلة لتحديد اتجاه الكعبة، والمتعارف عليه أن المحراب ظهر لأول مرة في المسجد النبوي عندما أعيد بناؤه سنة (٨٧هـ -٧٠٦م) بأمر الوليد بن عبد الملك وإشراف عمر بن عبد العزيز الذي كان واليًا للمدينة، واستعان الوليد في البناء

بالروم من أهل الشام الذين عملوا في الصحن وبالقبط من أهل مصر الذي عملوا في بيت الصلاة.



(شكل ٢)

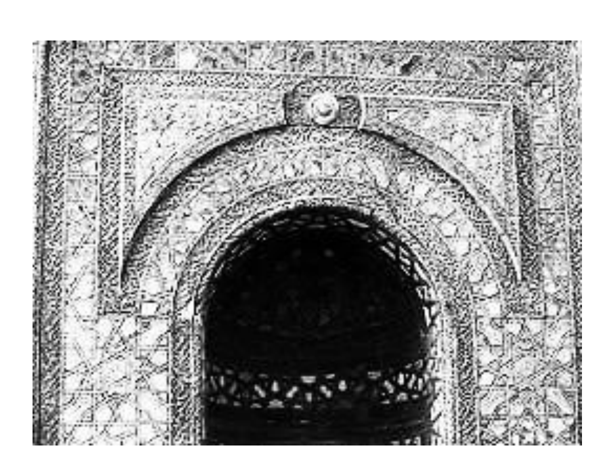
ب- المحاريب المجوفة:

ومن الواضح أن المحراب المسطح تطور إلى حنية مجوفة تتسع لوقوف الإمام وحده عندما يتقدم الناس للصلاة، ولقد وصلتنا نماذج من هذا المحراب الصغير من العصر الأموي منحوتة في الرخام المنقوش وأعيد استخدامها في بعض المساجد العباسية الأولى في العراق. والجدير بالذكر أن المحراب المجوف الذي استحدثه عمر بن عبد العزيز في عهد الوليد بن عبد الملك بالمسجد النبوى، نال عناية فائقة من المعماريين والمزخرفين حتى

أصبح أقدس المواضع في المسجد الإسلامي؛ فقد زادت استدارة حنية المحراب قليلًا عن نصف الدائرة في كثير من المساجد وزاد قطاعها الأفقي في مسجد قرطبة الجامع على شكل حدوة الفرس. كما زاد حجم المحراب حتى أصبح كالحجرة أو قاعة العرش الذي ظهر في مساجد الطراز الفارسي السلجوكي أو التركي العثماني.

وقد زودت المحاريب بالأعمدة الرقيقة على جانبي المشكاة، كما زخرفت أعلى الجوفة في كثير منها لمساجد في شكل محارة؛ ما يرمز إلى الخصب والعطاء الذي يتمثل في اللؤلؤة. كما يربوركارت أو زين بالمقرنصاتالبللورية الشكل.ولما كان عقد المحراب يُزين عادة بآيات قرآنية تحض على إعمار بيوت الله، وخصوصًا تلك الآية التييقول فيها سبحانه: " كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقًا". فإننا نظن أن تسجيل تلك الآية بشكل دارج في أعلى عقود المحاريب؛ هو الذي أدى بالدارسين الأوروبيين إلى تأكيد مقولة إن أصل المحراب يرجع إلى هيكل الكنيسة أو كورسها قبل أن يتجه المتأخرون منهم إلى تفهم أن المحراب نشأ في شكل مشكاة، نشأة إسلامية صرفة، تابعة من طبيعة وقوف الإمام وحده في حيز صف بأكمله صار يشغله عشرات المصلين وربما المئات، عندما استقل الإمام بالمحراب. وهكذا حق لـ"جرابار" القول إن

المحراب أصبح في زمن قصير شكلًا مطلوبًا لأسباب رمزية أو شعائرية.أما بقية عناصر المسجد، فترك إنشاؤها باختيار الناس.



(شكل ٣)

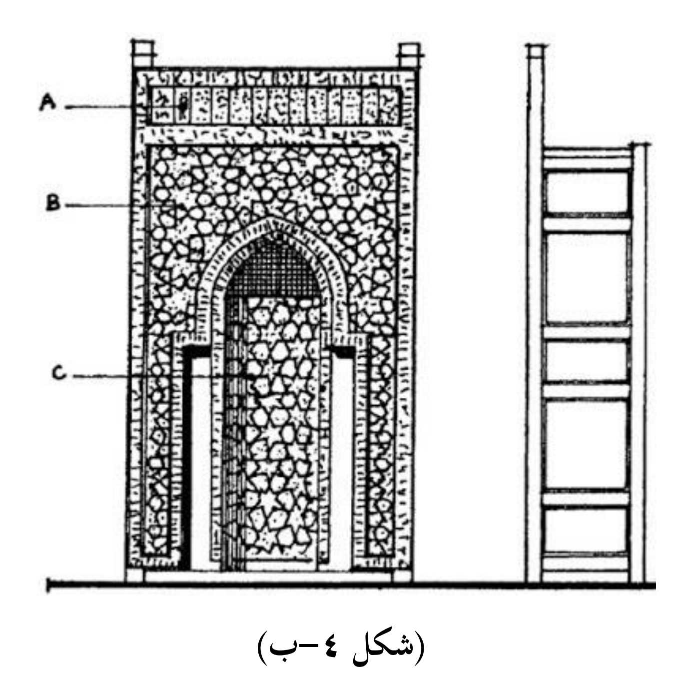
ج- المحاريب المتنقلة:

وقد عرفت العمارة الإسلامية نوعًا ثالثًا من المحاريب يُعرف باسم «العنزة» أو المحاريب الخشبية المتنقلة، حيث استُخدم بعضها لإقامة الصلاة في قصور الخلفاء والأمراء أو يُهدى لمشاهد آل البيت، مثل محراب السيدة عائشة– من العصر الفاطمي– المحفوظ في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة وقد انتشرت في المغرب الإسلامي، كما عُرفت في منطقة الموصل بالعراق وما وقع شمالها من أرض الأكراد وكذلك في مصر الفاطمية، مثل المحراب الخشبي المنسوب إلى الخليفة الحاكم بأمر الله ومحرابي السيدة نفيسة

والسيدة رقية المحفوظين بمتحف الفن الإسلامي.



(شكل ٤-أ)



(شكل ٤-ب)

د- المحاريب المنزوية:

وهي التي تتواجد في الزوايا الجنوبية أو الغربية ويتكون كل محراب منها من لوحتين مستطيلتين مسطحتين، واحدة واقعة في الجانب الغربي والأخرى في الجانب الجنوبي، وبلقائهما يكونان زاوية قائمة.



(شكل ٥)

زخرفة المحاريب:

جماليات هذه التجربة اعتمدت على زخرفة المحراب بالنقوش والجص المحفور وخط الآيات القرآنية عليها بالخطين الكوفي والنسخ، فضلًا عن زخرفتها بالخزف كطاسات ذات ألوان جميلة ومتميزة.

أما المواد التي غشيت بها تجاويف المحاريب، فأقدمها الجص والرخام والنوع الأول يتمثل في أقدم محراب بمصر في جامع أحمد بن طولون. ومن أشهر المحاريب الرخامية الذي عُثر عليه في جامع الخاصكي ببغداد ويعتقد أنه كان في الأصل لجامع المنصور الذي بناه لقصره بوسط مدينة بغداد وهو من قطعة واحدة من الرخام.

كما تُعتبر المحاريب التي شيدها المماليك في مصر والشام من أبدع المحاريب الرخامية التي عرفها فن العمارة والزخرفة، ومنها محراب مدفن السلطان المنصور قلاوون ومحراب إيوان القبلة بمدرسة السلطان حسن.

إن معاينة وزيارات ميدانية متعددة قمت بها لبعض هذه المساجد؛ كشفت لي عن اختلاف النقوش المستخدمة في كل محراب، بل وفي موقع الكتابات المنقوشة والخط المستخدم في كتابة الآيات القرآنية، إذ تأتي أحيانًا بالخط الكوفي أو بخط النسخ.لقد خضعت تجربة النقوش على المحراب في المساجد القديمة لدرجة عالية من الحرفية وجماليات تجذب أعين الزائرين وعُمَّار المساجد.

والمتأمل لتلك المحاريب وروعة تصميمها،يجد أننا أمام لوحة فنية عظيمة القدر تشهد على خبرة البنائين وبراعتهم في ترويض الجص وفن نقشهم، فترى داخل هذا الإطار الرحب وفي الجزء الأعلى منه على وجه التحديد حفر قوس منكسر محاط بأشكال رائعة النقش، هذا القوس يبدو وكأنه محمول على عمودين محفورين من الجص وفي وسطه يوجد ختم نقشت فيه أوراق ورد دقيقة الزخرف في داخله كتابة دائرية من أشكال هندسية وزهرية؛ تدل على براعة وإبداع معماري الحضارة الإسلامية وقدرتهم على إتقان

الزخرفة على المحاريب بمختلف أنواعها. تعد المحاريب في المساجد الأثرية بالعالم الإسلامي إحدى روائع فن النقش والزخرفة، والذي بدأ خلال القرن السابع الهجري وكثر استخدامه خلال القرن العاشر وامتد إلى القرون الماضية.

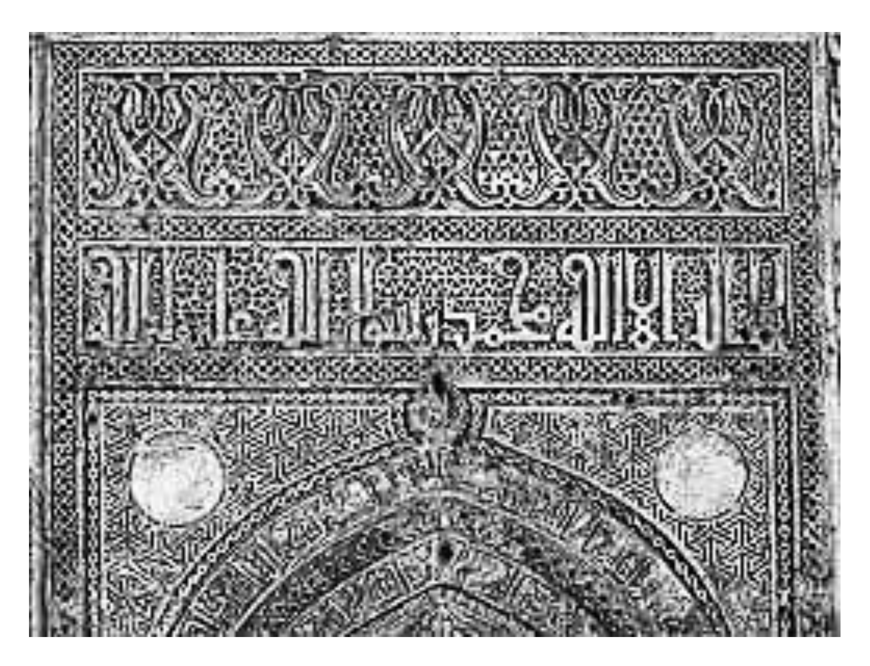
ومن جانب آخر، فإن محاريب المساجد الأثرية ظهرت بزخارف يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع، وهي: زخارف هندسية ونباتية وكتابية.

فالزخرفةالهندسية، أبرزت تشكيلات هندسية رائعة باستخدام الدوائر والمثلثات والبروز والضمور داخل جسم المحراب والتدرج في أحجام الخواتم، فيما أبرزت النقوش النباتية أشكالا زهرية رائعة، كما أظهرت الزخرفة الكتابية فن الخط العربي في كتابة الآيات القرآنية وغيرها داخل المحراب.

فقد استعاض فنانو الزخارف الإسلامية عن التشخيص بتطويرهم لأنماط الزخارف الهندسية الإسلامية متعددة الأشكال عبر القرون.

غلب على التصاميم الهندسية في الفن الإسلامي تكرار استخدام مجموعات المربعات والدوائر التي يمكن أن تتداخل مثل

فن الأرابيسك. كما اشتملت على أشكال متنوعة من الفسيفساء.



(شكل ٦)

تدرج تعقيد وتنوع الأنماط المستخدمة بدءًا من النجوم والمعينات البسيطة في القرن الثالث الهجري إلى مجموعة متنوعة من الأشكال ذات الست إلى الثلاثة عشر جانب في القرن السابع الهجري، ثم النجوم ذات الأربعة عشر والستة عشر جانب في القرنالعاشرالهجري.

استخدمت الزخارف الهندسية في أشكال متعددة في الفن والعمارة الإسلامية شملت الكليم والجيرةالفارسية وقرميد

الـزليج المغـربي والعقـود المقرنصـة ونوافـذ الجـالي المثقبـة والفخـار والجلود والزجاج الملون والمشغولات الخشبية والمعدنية..

ومن هنا نعلم أن المحاريب شغلت مكانة كبيرة في تاريخ الفن الإسلامي طوال عهودها المختلفة.

ومن خلال ذلك، نذكر جملة من آراء العلماء والباحثين، فقد رأى عاصم مُحَمَّد رزق في"معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية" القاهرة، ٢٠٠٠: إن إدخال المحراب في المساجد تم لأسباب عملية اقتضتها ظروف المسلمين، وكان الهدف منه أن يدل على اتجاه القبلة ويقوم بدور مضخم الصوت للإمام عند تكبيره وتلاوته وركوعه وسجوده أثناء الصلاة. ووفقًا لذلك، فقد تعددت المحاريب المجوفة والمسطحة في المسجد الواحد، إما لغرض تزييني أو لغرض وظيفي، حتى خصص لكل مذهب من مذاهب الدراسة فيه محراب يختص به. كما حدث في الجامع الأموي بدمشق، عندما بنى تقي الدين بن مراجل عام (٧٢٨ هـ ١٣٢٨م) محرابين جانبيين فيه للمذهبين الحنفي والحنبلي وأيضًا في جامع ابن طولون في مصر(٢٦٣- ٢٦٥هـ/٨٧٦- ٨٧٩ م) عندما بنيت فيه خمسة محاريب مسطحة إلى جانب محرابه الأصلي المجوف.

ويقول رزق:"إن أقدم ما عرفته العمارة الإسلامية من المحاريب المجوفة مع وجود اختلاف في الآراء، كان في مسجد الرسول بالمدينة المنورة عام (١١هـ/ ٦٣٢م)في عهد أبي بكر الصديق". وينتهي رزقإلى تأكيد وجود المحراب بمثابة إنجاز إسلامي فرضته ضرورة دينية عملية.

ما بدا واضحًا عند سائر المسلمين، واجه اعتراضًا من بعض الباحثين الغربيين، ومنهم جان سوفاجيه، في بحثه "المسجد الأمويبالمدينة: دراسة حول الأصول الهندسية للمسجد.." باريس،١٩٥٧ م، الذي طرح سؤالًا يرتبط بدلالة الشكل الفني؛ ففي رأيه أن الميزة الأساسية لمحراب المسجد، كما يتصوره الاستخدام الحالي، هو لنفعيته، حتى لو كان المحراب يدل المؤمنين على الوجهة الشعائرية، إلا أنه عمليًّا لا يستخدم لشيء. بيد أن دومينيك كليفينو، الأستاذ بجامعة السوربون، في دراسته"جمالية الستر: مقاربة للفن العربي الإسلامي" باريس،١٩٩٤م، يعتبر أنه من غير الممكن وضع دور المحراب موضع السؤال دون النظر إلى هذا الأخير بصفة كونه أداة وظيفية وإجراء نوع من التفكير حول العلامة؛ إذ أن العلامة ولا سيما الدينية تحمل معنى. وبما أن سوفاجيه لا يضفي على المحراب دورًا جماليًّا، فإنه يرى في الأمر

إشكالًا يستدعي الإبانة. وبالعودة إلى أصل المحراب الموجود في المسجد الأموي يقترح شرحًا بحسبه أداة هندسية دون دور ديني. ولكن ثمة ارتباطًا بوجود صاحب الأمر ويعضد رأيه أن المحراب مزيَن بعناية دقيقة بمواد ثمينة، وهو يشير بالتالي إلى مكانة القائد.

وكون دومينيك كليفينو يميل إلى تفسير الفضاء الهندسي بالفضاء الديني أي الدين كمهندس للفضاء، فإنه يعارض سوفاجيه في استنتاجاته،لا سيَما إقامته صلة غائية تجعل للدنيوي أقدمية كي تجعل منه النموذج الديني. وفي رأيه لا شيء يؤكد أن القصور الأموية سابقة على مسجد المدينة، بل يمكن الإقرار بأن المباني السياسية والدينية تتشارك في التصور نفسه لحيز التقوى والخضوع.

ويقدم الباحث اليوناني ألكسندر بابادوبولو، في"الإسلام والفن الإسلامي"باريس، ١٩٧٦، تفسيرًا آخر رافضًا خلاصات سوفاجيه ومؤكدًا أن محراب المدينة المائل نحو الشرق يحتل في الواقع وسط حائط القبلة الأولى لمنزل الرسول الكريم. فبالنسبة إليه يرتبط وجود المحراب بذكرى مُحَمّدﷺ. غير أن هذا الأمر يُدخل تصورًا غريبًا عن الإسلام وهو"ميتافيزيقا الحضور". وإذ يطرح المسألة من منظار التمثيل، فإن بابادوبولو يتخيل الموضوع من وجهة نظر الفنان اليوناني الذي لو كان في وسعه تمثيل الكائنات

الحية في المسجد لصور محمدًا، كما هي الحال مع المسيح في الكنائس، لكن بسبب عدم إمكانه إقامة تمثال للرسول ولا تصويره في الموزاييك والرسم، يبقى من الأنسب له اقتراح حضور التمثال من خلال"الحنية".

وفي المحصلة، يتصور الباحث اليوناني المحراب بمثابة تمثيل في التجويف– للرسول ـيسجد المؤمنون أمامه. والحال لا يتوافق شرحه وما يقر به الدين الإسلامي في كون مُحَمَّد بشريًّا ولا يمكن أن يكون موضع عبادة. لكن في رأي كليفينو تبقى المشكلة في فهم الصلة بين الشكل ودلالته. فمن الواضح أن"الحنية"عنصر سابق على الإسلام والفن الأموي مدين للثقافات التي سبقته، ومعروف كيف استخدم التراث العتيق و"الحنية" وكيف أن الفن البيزنطي جعل من زخرف موتيف القوس المحمول على عمودين مكانًا لتقديم شخصية أو تمثيل شخص يُراد تعظيمه أو تقديسه. ومعروف كذلك التفاعل الفني في العصر الأموي بين العالم البيزنطي والعالم الإسلامي وهناك مصادر تاريخية تؤكد مشاركة أقباط وبيزنطيين في بناء المساجد الأموية في المدينة ودمشق، لكنها إذ تورد أصل شكل المحراب، فإنها لا تشير إلى دلالته.

وثمة أخبار تاريخية عند البلاذري، توفي عام ٨٩٢ م في"فتوح

البلدان"، عن إدخال محراب المدينة المجوف المقعر جزء منها يتعلق بالهوية الثقافية للأشخاص الذين عملوا في إعادة بناء المسجد روم وأقباط من سوريا ومصر، وجزء يسرد ردود الفعل التي أثارها المحراب المجوف عند بعض المسلمين بحجة أنه سمة موجودة في الكنائس. وبقي صدى هذا الاحتجاج حتى القرن الرابع عشر الميلادي واستمر عد المحراب القسم الأقل قدسية في المسجد ومحظور على الإمام اتخاذه مكانًا؛ والقصد من ذلك الخوف من التمثل بالمسيحيين في شكل العبادة ونسيان الهدف الأساسي وهو الإشارة إلى القبلة أثناء الصلاة.

والمحاريب الإسلامية على نوعين، فمنها المحاريب المسطحة وغالبًا ما تشكل من مادة الجص على حائط القبلة أو بدن إحدى دعاماتها، وهناك أيضًا المحاريب المجوفة التي تتخذ هيئة بنائية وكيانًا معماريًّا.

وإلى جانب الرخام والجص، فقد برع المعماريون المسلمون في استخدام مختلف أنواع البلاطات الخزفية لتغشية المحاريب وكان أول ظهور لبلاطات الخزف في المحاريب عبر عدد من بلاطات الخزف ذي البريق المعدني صنعت في سامراء بالعراق، ثم أرسلت ليزدان بها محراب عقبة بالقيروان وهي باقية إلى يومنا هذا.

وقد تنافس الغرب الإسلامي مع الشرق في الشغف باستخدام الخزف لزخرفة المحاريب... ففي بلاد المغرب والأندلس، وخاصة في عصر الموحدين، استخدم "الزليج" بزخارفه الهندسية الدقيقة والمتعددة الألوان على نطاق واسع حتى بات من مميزات الفن الإسلامي الرئيسة هناك.

أما الخزافون في الشرق الإسلامي، فقد أثبتوا جدارتهم بريادة هذا الفن من خلال استخدام بلاطاتالخزف ذي البريق المعدني والخزف ذي اللون الأزرق الفيروزي لتغشية وزخرفة حنايا المحاريب، وحمل لواء الإبداع في بداية الأمر مدينة قاشان قبل أن تتبعها مدن أخرى، مثل: تبريز وسمرقند وبخاروآمد والري. لكن بقي لقاشان الفضل الأوفي حتى صارت بلاطات القاشانياسمًا على كل البلاطات الخزفية مهما كان مصدر إنتاجها أو نوع زخارفها.

وحفلت محاريب البلاطات الخزفية بالكتابات النسخية التي تحوي آيات قرآنية. إلى جانب الزخارف النباتية المعروفة بالتوريق أو الأرابيسك واستخدمت المقرنصات الخزفية لتزيين طواقي المحاريب مثلما نرى في محراب جامع يزد ومحراب جامع قليان في بُخارى.

ولحق الأتراك العثمانيون بركب المحاريب الخزفية؛ فنراهم يستخدمون بلاطات الخزف المنتجة في أزنيك ليس فقط لتغشية المحاريب، بل لكسوة جدران المساجد من الداخل أيضًا.

ومهما يكن من أمر مواد المحاريب وأنواع زخارفها التي تخرج عن كل حصر، فقد جرت عادة المعمار الإسلامي على وضع المحراب في منتصف جدار القبلة بالضبط ليتخذ محورًا لتوزيع فتحات النوافذ على جانبيه بالتوازن المأثور عن الفن الإسلامي.

تطور عمارة المحاريب

تطور بناء المحراب في صدر الإسلام:

المحراب بالنسبة للمسجد؛ مقام الإمام وموضع انفراده فيه والتخطيط الأول لجامع عمرو بن العاصلم يكن به محرابًا وقد أُضيف المحراب للجامع أثناء الزيادة التي قام بها الوالي الأموي قرة بن شريك وكان محرابًا غائرًا في جدار القبلة.

تطور المحراب في عصر الدولة الطولونية:

يوجد بظلة القبلة خمسة محاريب غير مجوفة، عدا محراب القبلة الرئيسي الذي يتوسط جدار القبلة، فهو مجوف وتعلوه قبة خشبية.

إن ظاهرة تعدد المحاريب وجدت قبل ذلك في المسجد الأموى بدمشق. ويرى الأستاذ حسن عبد الوهاب أن الحكمة من تعدد المحاريب هو تعدد المذاهب؛ اعتمادًا على ما أثبته ابن كثير من أن الصحابي تقي الدين بن مراجل، ناظر المسجد الأموي،أنشأ فيه محرابين للحنفية والحنابلة سنة (٧٦٤هـ، ١٣٦٢م). ومن المرجح أن المحاريب التي تضاف إلى المسجد بعد عمليات الترميم والتجديد، إنما تقوم مقام اللوحة التذكارية التي يثبت عليها تلك العمليات في الوقت الحاضر، والدليل على ذلك أننا وجدنا في جامع أحمد بن طولون محرابين من عصر الدولة الفاطمية، وهي شيعة المذهب، ولكنهما وضعا عقب تجديدات أُجريت للجامع في ذلك العصر.

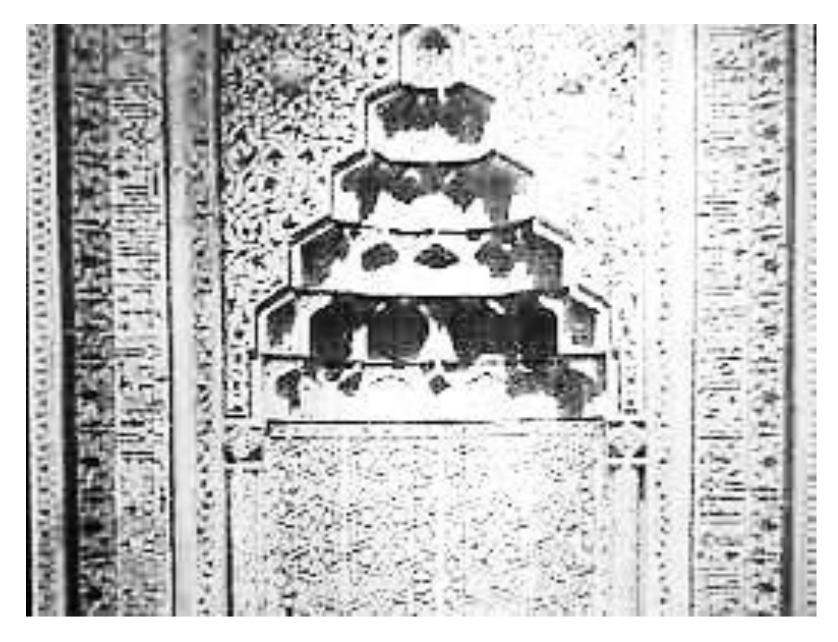


(شكل ٧)

تطور المحراب في عصر الدولة الفاطمية:

وفي العصر الفاطمي،شيدت مصر محاريب خشبية متنقلة مثل

محراب الخليفة الآمر (٥١٩هـ/١١٢٥م) بجامع الأزهر، كما وجد محراب خشبي في مشهد السيدة رقية ويوجد المحرابان السابق ذكرهما حاليًا بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، إلا أن أقدم هذه المحاريب الخشبية وجد في جامع القيروان بتونس. وبجانب المحاريب الخشبية وجدت محاريب جصية في العصر الفاطمي، فنرى أقدم مثال لها في جامع الأزهر عام (٣٦١هـ/٩٧٢م)، هذا ولم تُبنى محاريب جصية بعد عام (٧٠٣هـ/١٣٠٤م)، ومن هذه المحاريب نماذج بلغت منتهى الرقي مثل: المحراب المستنصري سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) بالجامع الطولوني، ومحراب مشهد إخوة يوسف سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) وقد انفرد هذا المشهد بتخطيطه وبدقة وتنوع زخارفه وكتاباته. كما امتاز بوجود دعائم في جانبيه انتهت قمتها بقبة مصغرة لقبته الكبيرة فوق المحراب، وفي هذا العصر تم التأكيد على موقع المحراب ببروز كتلته عن سمت الجدار لتأكيده.



(شكل ٨)

تطور بناء المحراب في عصر المماليك:

أما في العصر المملوكي البحريوالجركسي، فقد كسيت المحاريب بالرخام واستعلمت أيضًا الفسيفساء الرخامية بأشكال هندسية ونباتية بديعة؛ تدل على مدى التقدم الذي وصلت إليه هذه الصناعة. واستمرت هذه التكسيات أيضًا في العصر العثمانى وطليت الأسطح الرخامية في بعض المحاريب بماء الذهب حيث وجدت آثار ذهب على محراب مدرسة برقوق النحاسين، كذلك وجدت في العصر المملوكي محاريب حجرية بدون تكسية، مثل محراب مدفن يونس الدودار (٧٨٣-٧٨٤هـ/١٣٨٢م) ومحراب

خانقاه فرج بن برقوق. وفي نهاية العصر المملوكي الجركسي، وجدت محاريب حجرية مزينة بزخارف نباتية وهندسية بارزة في الحجر، مثل محراب مدرسة قايتباي بالقرافة الشرقية (٨٧٧-٨٧٩هـ/١٤٧٢-١٤٧٤م) ومحراب مدرسة إزبك اليوسفي (٩٠٠هـ/١٤٩٤-١٤٩٥م).

وقد يوضع المحراب في قوصرة وأول مثال له على هذه الصورة في مصر، نجده في مدفن قلاوون، إلا أنه يوجد مثال سابق عنه في المسجد الأموي بدمشق وتعددت المحاريب في بعض المباني بحائط القبلة وعلى سبيل المثال مشهد السيدة أم كلثوم (٦٤٠-٦٤١هـ/١٢٤١-١٢٤٢م)، ويرجح أن تعدد المحاريب بالمسجد يرجع إلى تخصيص محراب لكل مذهب سائد، حيث إنه من المعروف أن تقي الدين بن مراجل، ناظر المسجد الأموي بدمشق، قام ببناء محرابين جانبين في عام (٧٢٨هـ/١٣٢٨م) للمذهب الحنفي والحنبلي.



(شكل ٩)

تطور بناء المحراب في الدولة العثمانية:

أما في العصر العثماني والحديث، فالجزء المسقوف منه مغطى بقبة في الوسط تحيط بها أنصاف قباب حليت جميعها بنقوش ملونة جميلة تتخللها كتابات منوعة وتكسو حوائطه من أسفل وزرة من الرخام تنتهي بطراز مكتوب به بالخط الكوفي المزهر آيات قرآنية، وبوسط جداره الشرقي محراب من الرخام الأبيض المُحلى بزخارف محفورة فيه.



(شكل ١٠)

ومن المشاهد الحالية للمحاريب، ففي المسجد الجامع بمحافظة أسوان بُني المحراب على مساحة ١٠٠ متر وتطعيمه بالرخام الكرارة الإيطالي الأخضر والأسود الأسبانيو السبرنت الأسباني.

وبتطبيق دراستنا السابقة على تطورالمحاريب في الديار المصرية، نجد أن محاريب مصر التي يستقبلها المسلمون في صلواتهم أربعة محاريب. فالمحراب الأول، محراب الصحابة ﭫ الذي أسسوه في

البلاد التي استوطنوها والبلاد التي كثر مرورهم بها من إقليم مصر مثل محراب المسجد الجامع بمصر المعروف بجامع عمرو بن العاص.المحراب الثاني، محراب مسجد أحمد بن طولون وهو منحرف عن سمت محراب الصحابة. وقد ذكر في سبب انحرافه أقوال منها إن أحمد بن طولون لما عزم بناء المسجد، بعث إلى محراب مدينة رسول الله ﷺ من أخذ سمته، فإذا هو مائل عن خط القبلة المستخرج بالصناعة نحو العشر درج إلى جهة الجنوب فوضع حينئذ محراب مسجده هذا مائلًا عن خط سمت القبلة إلى جهة الجنوب؛اقتداءً منه بمحراب مسجد رسول الله ﷺ.وقيلإنه رأى رسول الله ﷺ في منامه وخط له المحراب، فلما أصبح وجد النمل طاف بالمكان الذي خطَّه له رسول الله ﷺ في المنام، وقيل غير ذلك.

وإذا صعدت سطح جامع ابن طولون، رأيت محرابه مائلًا عن محراب جامع عمرو بن العاص إلى الجنوب ورأيت محراب المدارس التي حدثت إلى جانبه انحرفت عن محرابه إلى جهة الشرق، وصار محراب جامع عمرو فيما بين محراب ابن طولون والمحاريب الأخرى. وعقد مجلس بجامع ابن طولون في ولاية قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن مُحَمَّد بن جماعة حضره علماء المقيات، منهم: الشيخ

تقي الدين مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن موسى الغزولي والشيخ أبو الطاهر مُحَمَّد بن مُحَمَّد ونظروا في محرابه، فأجمعوا على أنه منحرف عن خط سمت القبلة إلى جهة الجنوب مغربًا بقدر أربع عشرة درجة، وكتب بذلك محضر وأثبت على ابن جماعة. أما المحراب الثالث، محراب جامع القارة المعروف بالجامع الأزهر وما في سمته من بقية محاريب القاهرة، وهي محاريب يشهد الامتحان بتقدم واضعها في استخراج القبلة؛ فإنها على خط سمت القبلة من غير ميل عنه ولا انحراف.



(شكل ١١)

وأخيرًا المحراب الرابع، محاريب المساجد التي في قرى بلاد الساحل، فإنها تخالف محاريب الصحابة، إلا أن محراب جامع منية غمر قريب من سمت محاريب الصحابة، فإن الوزير أبا عبد الله مُحَمَّد

بن فاتك المنعوت بالمأمون البطائحي وزير الخليفة الآمر بأحكام الله أبي علي منصور بن المستعلي بالله، أنشأ جامعًا بمنية زفتة في سنة ست عشرة وخمسمائة، فجعل محرابه على سمت المحاريب الصحيحة وفي قرافة مصر بجوار مسجد الفتح عدة مساجد تخالف محاريب الصحابة مخالفة فاحشة وكذلك بمدينة الفسطاط غير مسجد على هذا الحكم. أما محاريب الصحابة التي بفسطاط مصر والإسكندرية، فإن سمتها يقابل مشرق الشتاء وهو مطالع برج العقرب مع ميل قليل ناحية الجنوب ومحاريب مساجد القرى وما حول مسجد الفتح بالقرافة، فإنها تستقبل خط نصف النهار الذي يقال له خط الزوال وتميل عنه إلى جهة المغرب.وهذا الاختلاف بين هذين المحرابين اختلاف فاحش يفضي إلى إبطال الصلاة، وقد قال ابن عبد الحكيم: قبلة أهل مصر أن يكون القطب الشمالي على الكتف الأيسر وهذا سمت محاريب الصحابة. ووحدة الزخرفة في مسجد السلطان حسن تتجلى بصدره في المحراب المغشى بالرخام الملون والمحلى بالزخارف المتنوعة.

لقد أصبح المحراب الذي أمسى رمزًا للصلاة وموقعًا جوهريًّا؛ يذكر الناس بعبادة الله عز وجل وتبارى الناس في تفخيمه والتركيز على شكله وزخرفته، حتى صار تحفة معمارية تنطق بالجمال

والإبداع وتعبر في الوقت نفسه عن الروح المبدعة التي تحلى بها المعماري والفنان المسلم في ظل حضارة ظلت شامخة لعقود من الزمان.



(شكل١٢ /أ)



(شكل١٢ / ب)



(شكل١٢ / ج)

مصادر ومراجع

١. الآثار والفنون الإسلامية د. عبد الله عطيه عبد الحافظ– القاهرة ٢٠٠٥.

٢. العمارة العربية الإسلامية د. فريد شافعي– الهيئة المصرية للتأليف والنشر ١٩٧٠.

٣. العمارة الإسلامية في مصر د. أحمد عبد الرازق أحمد– دار الفكر العربي ٢٠٠٩.

٤. العمارة الإسلامية في مصر د. كمال الدين سامح – الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٣.

٥. العمارة الإسلامية في مصر علياء عكاشة – بردى ٢٠٠٨.

٦. العمارة الإسلامية فكر وحضارة توفيق أحمد عبد الجواد – مكتبة الأنجلو ١٩٨٧.

٧. المساجد د. حسين مؤنس – عالم المعرفة ١٩٨١.

٨. المساجد التاريخية بدلهى"عطاء الرحمن قاسمي" ت. أحمد مُحَّد أحمد عبد الرحمن– المركز القومي للترجمة ٢٠١٢.

٩. القيم الجمالية في العمارة الإسلامية "د. ثروت عكاشة" – دار المعارف ١٩٨١.

١٠. مساجد القاهرة قبل عصر المماليك "مُحَّد عبد العزيز مرزوق"– مطبعة عطايا بمصر ١٩٤٢.

١١. مساجد القاهرة ومدارسها د. أحمد فكري – دار المعارف ٢٠٠٨.

١٢. موسوعة عناصر العمارة الإسلامية د. يحيى وزيري – مكتبة مدبولي ٢٠٠٢.

١٣. موسوعة مساجد مصر وأولياؤها الصالحوند. سعاد ماهر– هيئة قصور الثقافة ٢٠١٧.



الفهرس